الأدلة الحسية

وأثرها على الإيمان واليقين

د/ صفوان أحمد مرشد حمود البارقي *

*أستاذ العقيدة المشارك بجامعة نجران

كلية الشريعة وأصول الدين - قسم أصول الدين

Dr.safwan33@gmail.com

samahmood@nu.edu.sa

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث الموسوم بـ "الأدلة الحسية وأثرها على الإيمان واليقين" البراهين الحسية ودلالاتها القطعية على قضايا الإيمان بالله والنبوات والغيبيات كما تحكيه نصوص الوحي الكريم، وتتبين إشكالية البحث في التساؤلات العلمية: هل طلب منا الإيمان دون بينات؟ وهل اقتصرت البينات على العقلي منها أم شملت الحسي؟ وما أثر هذه الأدلة الحسية على الإيمان بالغيب؟ وقد هدف البحث إلى بيان المقصود بالأدلة الحسية في الوحي، وإظهار أثرها على الإيمان واليقين، وتوازن منهج أهل السنة في الاستدلال المتنوع على قضايا الإيمان. و اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، وجاءت هيكلته في مبحثين، هما: مفهوم وخصائص الأدلة الحسية وأهميتها في الاستدلال، وأثرها في إثبات الغيبيات وأثر الأدلة الحسية على الإيمان واليقين عند الأنبياء عليهم السلام، وعند الكافرين والمؤمنين.

وقد اشتمل على نتائج من أهمها: أن سلامة الحواس والفطرة والعقل ضرورية لتحقيق الاستفادة من الأدلة الحسية، ولا تقوم الحجة على الخلق في إثبات قضايا الإيمان والغيب إلّا بأدلة كافية شافية، من أهمها الأدلة الحسية التي تورث القطع واليقين، والقرآن يمثل أعظم الأدلة والمعجزات، ويمتاز بالخلود والديمومة.

واحتياج الأنفس المؤمنة إلى الأدلة الحسية لا يقدح في إيمانها وتصديقها، بل يزيدها بالله تعالى إيمانًا ويقينًا. وعدم استجابة بعض الكفار لا لقصور في البيان والبلاغ بل لعنادهم وكبرهم.

وأوصى البحث بـ: ضرورة الاهتمام بأدلة الإيمان الحسية، وإبراز أثرها على القلوب والأنفس، من خلال التأليف والنشر العلمي الملائم، للإسهام في حل مشكلة الإلحاد المعاصر. وأهمية تضمين مناهج الدراسة والتعليم بمستوياتها المختلفة أدلة وبراهين الإيمان، وفق منهج القرآن والسنة في الاستدلال بها على أعظم قضايا الوجود.

الكلمات المفتاحية: (الأدلة - الحسية - أثر- اليقين - الإيمان).

ISSN : 2410-1818

Research summary

This research, tagged with "Sensory Evidence and its Impact on Faith and Certainty," deals with sensory evidence and its definitive implications for issues of belief in God, prophecies and the unseen as told by the texts of the Noble Revelation.The problem of the research appears in the scientific questions: Were we asked to have faith without evidence?Was the evidence limited to the mental, or did it include the sensory? What is the impact of these sensory evidence on belief in the unseen? The research aimed to clarify what is meant by sensory evidence in revelation, and to show its impact on faith and certainty, and the balance of an approach to diverse inference on issues of faith.

The research adopted the descriptive-analytical approach, and it was structured

in two sections: the concept and characteristics of sensory evidence and its importance in inference, and the impact of sensory evidence on faith and certainty with the prophets, peace be upon them, and with the unbelievers and believers. It included results, the most important of which are: that the integrity of the senses, instinct and the mind are necessary to achieve benefit from sensory evidence, and the argument is not based on creation in proving issues of faith and the unseen except with sufficient and healing evidence, the most important of which is sensory evidence that inherits certainty and certainty, and the Qur'an is like the greatest evidence and miracles, and it is distinguished Immortality and permanence. And the believing souls needs for physical evidence does not undermine their faith and belief, but rather

increase their faith and certainty in God Almighty. The non-response of some unbelievers is not due to shortcomings in eloquence and communication, but rather because of their stubbornness and disbelief. The research recommended the need to pay attention to sensory evidence, and to highlight its impact on hearts and souls through appropriate scientific authorship and publication, to contribute to solving the problem of contemporary atheism, and the importance of including the curricula of study and education at its various levels, evidence and proofs of faith, according to the approach of the Qur'an and Sunnah in inferring them on the greatest issues of existence.

The key words: (Evidence - The sensory - Impact - The Certainty - Faith)

ISSN : 2410-1818

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[2]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ ﴾[3].

أما بعـــد،،،

موضوع البحث وأهميته:

يتناول البحث الأدلة الحسية وأثرها على الإيمان واليقين، وتتضح أهميته من خلال تناوله للأدلة والبراهين الحسية ودلالاتها القطعية على أعظم القضايا في هذا الوجود وهي الإيمان بالرب المعبود سبحانه وتعالى، وبالرسل الكرام وما جاؤا به من النبوات، والإخبار عن الغيبيات، والتركيز على أثر هذه الأدلة كما تحكيه نصوص الوحي الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

من أبرز الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع:

1- المساهمة في تقديم دراسة عقدية تبرز الأدلة الحسية وتظهر أثرها على قضايا الإيمان بالغيبيات واليقين بصدق النبوات.
2- الاهتمام بدراسة أثر الأدلة من وحي النصوص الشرعية، وتوجيه الجهد البحثي لمثل هذا النوع من الدراسات.
3- الرغبة في بيان منهج من مناهج الاستدلال القرآني والنبوي، والذي أولاه السلف اهتمامًا ملحوظًا، وفيه دحض لمناهج الشُّكاك من الفلاسفة ومن تأثر بهم، في جحد الأدلة الحسية والتشكيك بمدلولها.

([1]) سورة آل عمران الآية: 102.

([2]) سورة النساء الآية:1.

([3]) سورة الأحزاب الآية:70.

ISSN : 2410-1818

مشكلة البحث:

تتبين ملامح المشكلة البحثية في التساؤلات العلمية التي توجه إليها فكر الباحث ونظره، متأملاً فيها للوصول إلى إجابات علمية. وهذه التساؤلات هي:

من أخص ما يتصف به المؤمن خلافًا للملحد أو الكافر الجاحد، الإيمان بالغيب، فهل طلب منا الإيمان دون براهين ولا بينات؟ وهل اقتصرت الأدلة والبينات في المنقول على المنطقي والمعقول فقط؟ أم تنوعت لتشمل الأدلة الحسية؟ وما أثر هذه الأدلة الحسية على الإيمان بالغيب الذي لا نراه، ولكنا ندركه بالفطرة السليمة، والعقل الصحيح، والخبر الصادق، فهل يمكن الاستدلال عليه بالحس أيضًا؟! أم أن الدلالة الحسية لا تفيد في الغيبيات؟! ويكون المطالِبُ بدليل حسي لإثبات أمر غيبي غير محق؛ لأنه أراد إنزال الغيبي منزلة المشاهد، وهذا لا يستقيم.

يحرص البحث على أن يجيب عن هذه الاستشكالات وفق منهج أهل السنة والجماعة، في التلقي وطريقتهم في الاستدلال.

الدراسات السابقة:

لا تخلو كتب العقيدة القديمة والحديثة من الكلام عن النبوات ودلائلها، والغيبيات وبراهينها، ولكني لم أقف على دراسة علمية تفرد البحث عن أثر الأدلة الحسية في الإيمان واليقين، وتبرزه من خلال نصوص القرآن والسنة، إذ اهتم الباحثون بالأدلة المتنوعة والبراهين المختلفة، وكان الحديث عن الأثر يأتي عرضيًا لا أصليًا، وهذا في حدود اطلاعي وما بذلته من بحث استعنت فيه بالشبكة العنكبوتية.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

1- بيان المقصود بالأدلة الحسية، التي استدل بها القرآن الكريم والسنة النبوية على قضايا الإيمان.

2- إظهار الأثر البالغ والحجة الرسالية الدامغة لهذه الأدلة الحسية، ومنهج أهل السنة المتوازن في الاستدلال بها مع باقي الأدلة الشرعية التي تنوعت بين فطري، وعقلي، وحاليّ.

3- لفت أنظار الباحثين إلى دراسة أثر الأدلة وعدم الاقتصار على المدلول مجردًا عن آثاره الدلالية في المدعوين.

منهج البحث:

سأعتمد في بحثي هذا على المنهج الوصفي التحليلي، لأصل بواسطته إلى تحقيق الفائدة العلمية في الجمع والمقارنة والترجيح.

ISSN : 2410-1818

الخطوات العميلة في منهج البحث:

أولًا: ألتزم بقواعد البحث العلمي المعتبرة المتعارف عليها في الأوساط العلمية، والنقل من المصادر الأصلية ما أمكن إلّا إن تعذر ذلك فأنقل بواسطة مع الإشارة إليها.

ثانيًا: اعتمدت على ما صح من الأحاديث بحسب المحققين المعتبرين في علم الحديث سواء كانوا قدامى أم معاصرين، ولا أستشهد بالضعيف ابتداء، وروده في ثنايا البحث إن وجد فنادر للاستئناس، وفي سياق كلام منقول يتعذر بتره.

ثالثًا: لا ألتزم بالترجمة للأعلام طلبًا للاختصار.

رابعًا: اكتفيت في تخريج الأحاديث بما ورد في الصحيحين، وما لم يرد فيهما أخرجه من الكتب التسعة ما أمكن، ولا أخرج عن ذلك إلا عند الحاجة، مع الإشارة لدرجة الحديث ما أمكن ذلك.

خطة البحث:

اقتضى موضوع الدراسة أن تكون خطة البحث مكونة من مقدمة ومبحثين وخاتمة: تضمنت المقدمة عنوان البحث، وموضوعه وأهميته، وأسباب الاختيار، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، ومنهجه، والخطوات العملية.

المبحث الأول: مفهوم الأدلة الحسية وخصائصها وأهميتها، وأثرها في إثبات الغيبيات. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الأدلة الحسية وبيان الخصائص والأهمية، وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف الأدلة الحسية لغة واصطلاحًا

الفرع الثاني: المقصود بالأدلة الحسية وبيان الأهمية والخصائص.

المطلب الثاني: أثر الأدلة الحسية في إثبات الغيبيات.

المبحث الثاني: أثر الأدلة الحسية على الإيمان واليقين عند الأنبياء والكافرين والمؤمنين وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أثر الأدلة الحسية على الكافرين. وفيه فرعان:

الفرع الأول: أثر الأدلة الحسية على المعرضين من الكافرين.

الفرع الثاني: أثر الأدلة الحسية على المهتدين من الكافرين.

المطلب الثاني: أثر الأدلة الحسية على إيمان ويقين الأنبياء والمؤمنين. وفيه فرعان:

الفرع الأول: أثر الأدلة الحسية على إيمان ويقين الأنبياء عليهم السلام.

الفرع الثاني: أثر الأدلة الحسية على إيمان ويقين المؤمنين.

وتضمنت الخاتمة، أهم النتائج والتوصيات، وقائمة المصادر والمراجع.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول

مفهوم الأدلة الحسية وخصائصها وأهميتها، وأثرها في إثبات الغيبيات. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الأدلة الحسية وبيان الخصائص والأهمية.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف الأدلة الحسية لغة واصطلاحًا.

الأدلة في اللغة: جمع دليل، والدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء. فالأول قولهم: دللت فلانا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء[4]. وقيل الدليل هو المرشد[5].

وقد يراد به العلامة المنصوبة لمعرفة المدلول، ومنه سمي الدخان دليلا على النار[6].

الأدلة في الاصطلاح: ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه، أو في أحواله، إلى مطلوب خبري، توصلًا يقينًا، أو ظنيًا[7].

الحس لغة:

الحس، بكسر الحاء: من أحسست بالشيء. حس بالشيء يَحُسُّ حَسًّا وحِسًّا وحَسِيسًا وأحس به وأحسه: شعر به، والْحِسُّ والحسيس الصوت الخفي، ومنه قوله تعالى:﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [8].

والحاسّة: القوة التي بها تدرك الأعراض الحسيّة، والإحساس العلم بالحواس، وهي مشاعر الإنسان كالعين والأذن والأنف واللسان واليد، وحواس الإنسان: المشاعر الخمس وهي الطعم والشم والبصر والسمع واللمس[9].

([4]) مقاييس اللغة (2/ 259).

([5]) المعجم الوسيط (294/1).

([6]) الكليات (ص: 439).

([7]) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (1/ 9)، نهاية السول شرح منهاج الوصول (ص: 13).

([8]) سورة الأنبياء من الآية: 102.

([9]) ينظر: لسان العرب (6/ 49)، مختار الصحاح (ص: 72)، المفردات في غريب القرآن (ص: 231).

ISSN : 2410-1818

والحس في الاصطلاح: "هو القوة التي ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة، كالحواس الخمسة الظاهرة"[10]، ومنه سميت الأدلة المستندة للحس بالأدلة الحسية لهذا الارتباط والعلاقة.

الفرع الثاني: المقصود بالأدلة الحسية وبيان الأهمية والخصائص.

أولًا: المقصود بالأدلة الحسية وبيان أهميتها.

يقصد بالدليل الحسي هو ما يدركه الانسان بحواسه الخمس السليمة، وهي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس، ويوصل إلى مطلوب خبري.

وقيد سلامة الحواس ضروري لتحقيق شرط صحة المدركات بها، لأن اعتلالها بأي علة يفسد صحة الإدراك، بل قد يكون خادعًا للعقل مظللًا له، مثاله: عندما تقع العين الباصرة على صورةٍ للقلم ونصفه في كأس الماء، فيظهر للناظر منكسرًا، وهذا ليس خطأً في الصورة المحسوسة له، بل إنّ هذا الانكسار الّذي يبدو بسبب اختلاف عامل انكسار الضوء في الهواء عنه في الماء، ولو أخذنا صورة فوتوغرافية للقلم لظهرت الصورة مطابقة لما أدركه الحس البصري، وهكذا بالنسبة للظواهر الأخرى، كسراب الماء في القيعان ونحوها، وهذا يدلّ على أن الحسّ ناقلٌ أمينٌ ضابط للواقع الّذي اتصل به، والخطأ إنّما حصل في حكم العقل على الواقع المحسوس عندما لم يأخذ بالاعتبار تلك المتغيرات المادّيّة الفيزيائية المحيطة بذلك الواقع، وبالتجربة والتكرار استطاع الإنسان تشخيص الكثير من تلك المتغيّرات وصياغتها في قوانين ونظريات شكلت بعد ذلك علومًا تجريبية انتفع بها الإنسان.

وبدليل الحسّ: أدرك الإنسان أن ما حوله من الحوادث والمخلوقات لها خالق وموجد، اتجهت إرادته لخلقها وإيجادها على وجهها المخصوص؛ لاستحالة أن تنشأ الحوادث من تلقاء نفسها بلا محدث، كما يستحيل أن تُوجَد بالعدم لأن العدم سلب لا كمال فيه ولا فاعلية له، والقول بالصدفة من أبعد ما يمكن أن تقبله العقول السليمة والفطر المستقيمة في كون فسيح يعج بالانتظام الدقيق، الذي ينفي الصدفة، ويزهق أنفاس القائلين بها من الملاحدة، وإذا استحالت تلك الاحتمالات أيقن الإنسان أنّ الحقيقة الوحيدة التي قامت عليها براهين الحق وحججه الحسية والعقلية والفطرية أن الله تعالى هو الخالق المبدع الحق المبين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[11].

([10]) التعريفات (ص: 86).

([11]) سورة الطور الآيات: 35، 36.

ISSN : 2410-1818

ثانيًا: خصائص الأدلة الحسية.

تتميز الأدلة الحسية بجملة من المميزات التي تجعل المستدل بها يصل إلى الحقائق، ويكشف عن الخفايا والدقائق، سواء في عالم الغيب وسيأتي تفصيله، أو في عالم المشاهدة والحس، وهو ميدان العالم التجريبي العملي، الذي يمكن من خلاله الإثبات والنفي بناء على معطيات وفرضيات خضعت للتجربة الحسية بعد مراحل من الملاحظة والاستقراء، والجمع والاختبار، ثم التحليل والاستنتاج.

من أبرز ما تتيميز به الأدلة الحسية:

1- **القوة وسرعة التأثير:** وذلك أن الدليل الحسي يعتمد على المحسوسات المشاهدة التي يسلم بها كل الناس؛ فإذا لم يسلم بها بعض الناس أصبح ذلك الانكار وعدم التسليم عنادًا وإصرارًا ومكابرة.

ومعلوم أن العلم بالمحسوسات من العلوم الفطرية القطعية، التي لا تحتاج لنظر واستدلال، بل يدركها على حد أدنى كل عاقل مميز، وإن تفاوتت درجات الفهم والتعقل لدى كل واحد من هؤلاء العقلاء المدركين لذلك المحسوس الواقع تحت حواسهم الخمس.

2- **السهولة واليسر في حصول المقصود:** فيستوعبه الصغير والكبير والعالم والجاهل، بسهولة ويسر ملحوظ، بل قد تجد أثره في الجاهل أبلغ منه في العالم، خصوصًا إذا كان ذلك الجاهل نقي السريرة لم تعبث الفلسفات به، ولم تؤثر في عقله الجدليات التي تمثل أغلوطات للعقل البشري، تصل به إلى التيه أحيانًا وإلى الإلحاد أحيانًا، وإلى التشكيك في القطعيات أحيانًا أخرى، وهذا ما وقع فيه أهل الفلسفات والسفسطة، فوجدنا من يقول مبرهنا على وجوده: "بما أني أفكر أني موجود فأنا موجود"، ويصل لهذا القول بعد عناء شديد، ويوصف بأنه من العباقرة الأفذاذ، فأين العبقرية في الأمر الذي أدركه بسيط التفكير، سليم الفطرة من عامة الناس [12].

3- **القطعية وعدم قبول التشكيك والاعتراض:** وهذا في الوضع الاعتيادي السوي، خلافًا لمن خرجوا عن مقتضى الفطرة والعقل، وذهبوا في شواطئ التيه والشك من أهل المكابرة والمغالطات المنطقية والفلسفية الذين سبق الإشارة إليهم، أو من أهل الإعراض والعناد الجاحدين للحق من الكفار.

([12]) أمثال كانت، وباركلي، وديكارت، وهيوم، كمدرسة تتبنى التشكيك في المحسوسات وإمكان معرفة الواقع الخارجي من خلالها، ينظر: نظرية المعرفة د. فؤاد زكريا ص62، التأملات لديكارت: ترجمة د. عثمان أمين (ص72، 73)، باركلي لد. يحيى هويدي ص142، تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم (ص177، 178).

ISSN : 2410-1818

4- **الكثرة والتنوع:** فالأدلة الحسية محيطة بالإنسان من كل جوانبه الحياتية اليومية، يلامسها في دخوله وخروجه وسعيه، وتضع هذه الأدلة بصماتها على النفس والعقل والفطرة التي تتناغم مع الوجود ولا تنافيه، ولا تصادمه.

5- **الإيجاز والمباشرة في الاستدلال:** وهو ما يميز الأدلة الحسية عن الأدلة النظرية الجدلية، التي يصل إليها المستدل بمقدمات منطقية طويلة ومركبة غالبًا، وقد تكون محل تسليم أو تشكيك عند المخالف، ثم طرق استدلال قد تكون موصلة أو غير موصلة للمقصود، ثم استنتاج قد يصيب فيه المستدل وقد لا يصيب، فالمسلك المنطقي النظري مسلك عقلي فيه وعورة للوصول للمقصود؛ ولذا تجد أرباب الكلام يختلفون في ماهية كل شيء قد يراه عامة الناس بدهيًا، كاختلافهم في تعريف العقل والعلم والجهل وغيرها من المدْرَكات[13].

المطلب الثاني: أثر الأدلة الحسية في إثبات الغيبيات.

وفي عالم الغيب الذي لا نراه ولكنا ندركه بالفطرة السليمة، والعقل الصحيح، والخبر الصادق، هل يمكن الاستدلال عليه بالحس؟! أم أن الدلالة الحسية لا تفيد في الغيبيات؟! ويكون المطالِبُ بدليل حسي لإثبات أمر غيبي غير محق، بل قد يخرج عن دائرة الإيمان بالغيب لأنه أراد إنزال الغيبي منزلة المشاهد، وهذا لا يستقيم.

فالجواب: إن أعظم قضايا الغيب وأصل أركان الإيمان هو إثبات وجود الله تعالى، ثم إثبات الربوبية والألوهية، والأسماء الحسنى والصفات العلى؛ وقبل إثبات الوجود والتوحيد لا معنى ولا فائدة ترجى من الحديث عن باقي الأركان؛ من إيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره. وقد توافرت الأدلة الحسية في ذلك ومنها:

الدليل الحسي الأول: بينات الرسل ومعجزاتهم.

ومن الأدلة الحسية آيات الأنبياء وبينات المرسلين عليهم الصلاة والسلام، التي أمدهم الله وأيدهم بها، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[14].

([13]) ينظر: العدة في أصول الفقه (1/ 76 وما بعدها)، المستصفى (ص: 21 وما بعدها)، البحر المحيط في أصول الفقه (1/ 75 وما بعدها).

([14]) سورة الحديد من الآية:25.

ISSN : 2410-1818

فيُجْرِي الله سبحانه وتعالى على أيدي رسله ما يخرق العادة المألوفة، ويخرج عن نظم السنن الكونية المشهودة، ولا يقدر على مثله البشر، وهو ما يسمى اصطلاحًا بالمعجزة؛ ومناسبة تسمية الآيات البينات بالمعجزة هو عجز البشر عن معارضتها والإتيان بمثلها، فيجريها الله على أيدي أنبيائه تأييداً لهم، وتصديقًا لما جاءوا به من الحق، فتكون المعجزة برهانًا حسيًا قاطعًا على صدق الرسل ووجود الله تعالى الذي أرسلهم، وأيدهم ومن آمن بهم، ونصرهم وكبت عدوهم وأظهر أمرهم.

وآيات الأنبياء التي أيد الله بها رسله قد اختلفت أنواعها، وتباينت مظاهرها وأشكالها[15] إلا أنها تجتمع في أن كلًا منها قد عجز البشر عن أن يأتوا بمثله منفردين أو مجتمعين، فكانت بذلك شاهد صدق على الرسالة، وحجةً قاطعةً تخرس الألسنة وينقطع عندها الخصوم، ويجب لها القبول والتسليم. ويغلب أن تكون معجزة كل رسول مناسبة لما انتشر في عصره وبرز فيه قومه، وعرفوا بالمهارة فيه؛ ليكون ذلك أدعى إلى فهمها، وأعظم في دلالتها على المطلوب، وأمكن في الإلزام بمقتضاها.

ففي عهد موسى - عليه السلام - انتشر السحر، ومهر فيه قومه حتى أثروا به على النفوس، وسحروا أعين الناظرين، وأوجس في نفسه خيفة منه، مَنْ شَهِدَه وإن كان عالي الهمة قوي العزيمة، فكان ما آتاه الله نبيه موسى عليه السلام فوق ما تبلغه القوى والقدرة، وما يدرك بالأسباب والوسائل، وقد أوضح الله ذلك في كثير من الآيات، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾[16]. ولهذا بهت السحرة وبطل ما جاءوا

---

[15] " **والمعجزات الحسية** تنقسم إلى قسمين هما: المعجزات السماوية (أي: المتعلقة بالسماء وما فيها) مثل: انشقاق القمر، الاستسقاء والاستصحاء والإسراء والمعراج، احتباس الشمس حتى تصل عير قريش بعد الإسراء والمعراج.

المعجزات الأرضية: وهي متنوعة فمنها: ما هو متعلق بالإنسان كتفله صلى الله عليه على الجروح والأمراض وشفائها. ومنها ما هو متعلق بالحيوان كسجود البعير له صلى الله عليه وشكوى البعير له وشهادة الضب له صلى الله عليه. ومنها ما هو متعلق بالنبات كتسليم الشجر عليه وإجابة دعوته صلى الله عليه. ومنها ما هو متعلق بالجمادات كتسليم الحجر عليه ونبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه. ومنها إجابة دعائه صلى الله عليه كدعائه للصحابة واستجابة دعائه فيهم. ومنها إخباره صلى الله عليه بالمغيّبات التي تحقق وقوع بعضها وينتظر تحقق البعض الآخر. ومنها حمايته صلى الله عليه وسلم من الأعداء. البداية والنهاية (95/6 وما بعدها).

[16] سورة طه الآيات: 17-23.

ISSN : 2410-1818

به من التمويه والتخييل وتمايز الحق من الباطل، قال تعالى في بيان أثر ذلك عقب المباراة التي كانت بين موسى عليه السلام والسحرة: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠ ﴾[17].

وفي عهد المسيح عيسى عليه السلام برع بنو إسرائيل في الطب، فكان مما آتاه الله أن يصور من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٤٩ ﴾[18]، إلى غير ذلك من الآيات التي ثبت بها رسالته، وقامت بها الحجة على قومه.

وفي عهد محمد صلى الله عليه وسلم كان العرب قد بلغوا الغاية في الفصاحة وقوة البيان، وجرت الحكمة على ألسنتهم، حتى اتخذوا ذلك ميدانًا للسباق والمباراة، فأنزل الله القرآن على رسوله عليه الصلاة والسلام، فكانت بلاغته وبيانه وما تضمنه من الحكم والأمثال إلى جانب ما كان من تأييد إعجازه كان ذلك من الأدلة والآيات التي تدل على صدقه في نبوته ورسالته قال صلى الله عليه وسلم: "ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة" [19].

ومصنفات العلماء في دلائل النبوة كثيرة جدّاً من أبرزها: دلائل النبوة لابن منده، ولأبي نعيم الأصفهاني و البيهقي، ولقوام السنة الأصفهاني، وغيرها [20].

وطريق المعجزة كما أنه طريق صحيح في الاستدلال بالمحسوس لتأييد الرسل وتثبيت فؤادهم، وإثبات صدقهم، فهو طريق حسي مباشر لإثبات وجود الله الذي أرسلهم وبالمعجزات والآيات أيدهم.

"فالمجتمع الذي يبعث فيه نبي من الأنبياء، يجري الله تعالى على يديه معجزات تؤيد صدقه فيما ادعاه من النبوة، وإذا ثبتت النبوة أو الرسالة بتلك المعجزة، ثبت أن هناك مرسلاً لذلك الرسول أيده بها،

([17]) سورة طه الآية:70.

([18]) سورة آل عمران الآية: 49.

([19]) صحيح البخاري (6/ 182)، حديث رقم 4981. ينظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي – قسم العقيدة (ص: 185، 186).

([20]) ينظر: الموسوعة الشاملة وما ورد فيها من أسماء الكتب التي حملت مسمى "دلائل النبوة".

ISSN : 2410-1818

لتكون دليلاً على صدقه، فيصدقونه في جميع ما أخبر به. وأهم ذلك كله وجود خالق واحد، خلقهم من العدم، واستخلفهم في هذه الأرض، من أجل عبادته فيها وحده لا شريك له، وهو الله سبحانه وتعالى، هذا إذا كانت تلك المعجزة عن شهود من ذلك المدعو وحضور لوقائعها، أما من غاب عنها، فإن دلائلها تثبت عنده بطريق الاستفاضة لتلك المعجزة ورسالة صاحبها. فإذا ثبتت النبوة فإنها تكون أصلًا في وجوب قبول جميع ما دعا إليه النبي" [21].

قال البيهقي: "وقد سلك بعض مشايخنا - رحمنا الله وإياهم - في إثبات الصانع وحدوث العالم طريق الاستدلال بمقدمات النبوة، ومعجزات الرسالة؛ **لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها، ومن طريق الاستفاضة لمن غاب عنها**؛ فلما ثبتت النبوة صارت أصلًا في وجوب قبول ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا الوجه كان إيمان أكثر المستجيبين للرسل صلوات الله عليهم أجمعين" [22].

والأدلة الحسية باقية ما بقي القرآن الكريم:

فلقد مَنّ الله على عباده بالنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، وأيده بالمعجزة الخالدة المتجددة المستمرة، وهي القرآن الكريم الذي بين أيدينا نصه المبارك ولفظه العظيم ونظمه المعجز، لا يزال محفوظًا من التحريف حتى قيام الساعة، أودع الله فيه من علمه، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وما حصل لأتباع الأنبياء والرسل وما حلّ بمكذبيهم، ما يدعو للتأمل والتدبر، وهذا المسلك يطرقه العقلاء من أولي الألباب والنهى، كما حوى من الأخبار والوقائع ما يمثل دلالة حسية ظاهرة تبين صدقه، قاطعة الدلالة قاهرة لمن كذب به وعانده.

والقرآن هو أعظم المعجزات، وأبين الدلالات، وأصدق الحجج والبينات، ويعده البعض من المعجزات المعنوية والعقلية، ولكن الصواب أنه جامع لكل أنواع الإعجاز والبيان والبرهان؛ الفطري والحسي والعقلي والمعنوي.

ويمكن القول بأن القرآن الكريم هو في ذاته دليل حسي ويتضمن أدلة حسية كثيرة، أما كونه دليلًا حسيًا مشهودًا يُقْطَع به الباطل وتُدْحَض به الشبهة، فقد تحدى الله به كفار قريش ومن بعدهم من إنس وجان، وكان وجه التحدي أن يماثل هؤلاء، أو يجاروا أو يحاكوا مجتمعين أو متفرقين هذا القرآن المعجز في لفظه ومعناه، وفي نظمه وتراكيبه، وفيما حواه من علم وخبر، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن

([21]) البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص: 128).

([22]) الاعتقاد، ص: 10.

ISSN : 2410-1818

كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾[23]. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [24].

وقد كان كفار قريش في زمن النبوة أكثر حرصًا من غيرهم على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورد دعوته، والفتك به وبمن آمن معه، فقد استفزهم في معتقداتهم، وسفّه أحلامهم، وخرج عما كان عليه أباؤهم، وبارزهم العداوة الظاهرة فيما هم عليه من شرك ووثنية وجاهلية، وتبرأ منهم أشد البراءة، وهم كذلك نابذوه العداوة الظاهرة والباطنة، وتربصوا به وبمن آمن معه الدوائر، وكادوا لهم ومكروا بهم، وتسلطوا عليهم بصنوف الأذى والعذاب، في مراحل الاستضعاف التي كانت في مكة المكرمة، وانتهت بالبطش والتنكيل ومحاولة القتل غيلة، مرورًا بالحصار والتجويع والمقاطعة الظالمة، كل ذلك حاصل كائن لدفع الحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وكان السبيل الأيسر والطريق الأسهل للوصول إلى مبتغاهم أن يكسروا التحدي الذي تحداهم به هذا النبي المرسل، فيستجمعوا قواهم، ويستنهضوا هممهم وقدراتهم ليأتوا بكتاب أو سورة أو آية مثل الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وهو من جنس كلامهم بحروفه العربية التي ينطقون بها صباح مساء، وكانوا أرباب الفصاحة وفرسان الحرف والكلمة، ولكن القوم صَعُبَ عليهم ذلك في سجال وتحدي الكلمة المعجزة في ذاتها، وسَهُلَ عليهم لبس لامة الحرب وإسراج رَكُوبها، وقرع طبولها، فجمعوا الحشود، واستلوا السيوف وحملوا الرماح، وشدّوا أوتار القسي بسهام الحقد، وكانت المواجهة الدامية بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر من غزوة.

وكانت هذه المواجهة بينه وبين العالمين في زمانه تمثل في حد ذاتها معجزة حسية، ودلالة ملموسة على رسالته، وتأييد الله له ومن آمن معه؛ وغالبهم من البسطاء والفقراء والمستضعفين، **قال القاضي عبد الجبار المعتزلي:** "وهؤلاء قوم اتبعوه و هو وحيد فقير ذليل خائف مقهور مغلوب، و أهل الارض يد واحدة في عداوته و عداوة أتباعه، فخرجوا باتباعه من الأمن إلى الخوف، و من الغنى إلى الفقر، و من العزّ إلى الذل، و من الكرامة إلى الهوان، و من الراحة إلى النصب، و من الأوطان إلى الغربة"[25].

([23]) سورة البقرة الآية: 23- 24.

([24]) سورة الإسراء الآية: 88.

([25]) تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار (ص: 545).

ISSN : 2410-1818

وكان للآيات البينات والدلائل الواضحات، أكبر الأثر في زيادة الأتباع وصلابة المواقف، والثبات على الحق، وسرعة الانتشار، حتى تجاوزت أمته المليار، لا يكون ذلك إلّا بقطع ويقين لا يتزعزع، أورثته الأدلة المتكاثرة، والنصوص المتواترة، التي لا يسعها مؤلف بل تحتاج إلى مؤلفات.

قال البيهقي: "ودلائل النبوة كثيرة، والأخبار بظهور المعجزات ناطقة، وهي وإن كانت في آحاد أعيانها غير متواترة، ففي جنسها متواترة متظاهرة من طريق المعنى، لأن كل شيء منها مُشَاكِلٌ لصاحبه في أنه أمر مزعج للخواطر ناقض العادات، وهذا أحد وجوه التواتر التي يثبت بها الحجة ويقطع بها العذر" [26].

وقال ابن تيمية: "وكان يأتيهم بالآيات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم، ومعجزاته تزيد على ألف معجزة، مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات، ومثل القرآن المعجز" [27].

وسائر الأدلة والبراهين الحسية قاصرة في أثرها على إفادة الطُّمأنينة لمن شهدها وحضرها ولامست جوارحه، عدا القرآن المجيد "فإنه معجزةٌ باقية إلى يوم القيامة، يشاهدها كلُّ أحد، وتطمئن به القلوبُ كافة، وهو أظهرُ الآياتِ وأبهرُها [28]. ويكفي للبيان استمرار وديمومة هذا التحدي والإعجاز بهذا القرآن، الذي يمثل الدليل والبرهان على كونه من عند الله الواحد الديان، وتثبت به صحة الرسالة وصدق المرسِل، وما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [29].

والمعنى: أخبرونى إن كان القرآن المنزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله، وكنتم منكرين مكذبين به، وذلك منكم ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين، ولا عن دليل ظاهر يثلج الصدور، وإنما محض ضلال وزيغ وعناد وجحود، تشاقون الله ورسوله وتهلكون بذلك أنفسكم، ووعد الله وعدًا لا يخلف أن يري كفار كل زمان ومكان الآيات البينات التي بها تقوم الحجة وتنقطع المحجة، ويتبين أن هذا القرآن هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،

([26]) الاعتقاد ص127.

([27]) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (1/ 399).

([28]) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (5/ 20).

([29]) سورة فصلت الآيات: 52-53.

ISSN : 2410-1818

تنزيل من حكيم حميد ، وبلاغ من رسول نبي صادق أمين. فجعل الرؤية دليلًا محسوسًا يقيمه في كل زمان ومكان على صدق القرآن وديمومة هذا الدليل والبرهان المعجز الخالد.

قال ابن كثير: " أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلًا من عند الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلائل خارجية في الآفاق ... ودلائل في أنفسهم"[30].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[31].

فالأدلة الحسية باقية ببقاء الأرض ومن عليها، بقاء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وما تضمناه من الإخبار بأشراط الساعة وعلاماتها، وأحايث الفتن وأحوال آخر الزمن، وبتحقق ذلك يتجدد البيان والبرهان على صدق النبوة، وتكون هذه الدلائل المتجددة لها أكبر الأثر في نفوس المؤمنين والأتباع في معركتهم مع الكفر والإلحاد على مر الأزمان.

الدليل الحسي الثاني: الدعاء والاستجابة.

إن من أعظم الأدلة الحسية الدالة على وجود الله تعالى خالق هذا الوجود ومدبره، وصاحب الإرادة النافذة فيه، الدعاء والاستجابة التي نشاهدها ، ونلحظ وندرك أثرها.

فالإنسان تُلِم به الملمات وتكتنفه الأحداث، فيدعو الله طالبًا كشف الغمة وتفريج الكربة ورفع الهم ودفع البلاء، فيقول مناجيًا مناديًا: يا الله، فيجيبه الله ويكشف عنه السوء، ويعطيه سؤله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[32].

فهذا دليل حسي ملموس أن هناك رب سمع الدعاء، وأجابه، وقد سجل القرآن الكريم أعظم المناجاة والدعوات التي استجابها الله لأنبيائه وأوليائه منها قوله تعالى في أمر **نوح عليه السلام** وقد

([30]) تفسير ابن كثير (7/ 187).

([31]) سورة النمل الآية: 93.

([32]) سورة البقرة الآية: 186.

ISSN : 2410-1818

كذّب به قومه واستضعفوه ومن معه: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾[33].

وقوله تعالى: ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ﴾[34].

وفي أمر **أيوب عليه السلام** وما أصابه من مرض وبلاء: **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[35].

و**قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[36].

وفي أمر **زكريا عليه السلام**، شيخ طاعن في السن عقيم زوجه، يطلب الولد، فدعا الله وناجاه بقوله: ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾[37]. و **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[38].وفي قوله: ﴿مِنْ لَّدُنكَ﴾، **إعلام بأنه من محض الفضل وخرق العادة**، لعدم صلاحية زوجه للحمل.

([33]) سورة الأنبياء الآية: 76.

([34]) سورة القمر الآيات: 9-11.

([35]) سورة الأنبياء الآيات: 83،84.

([36]) سورة ص 41، 42.

([37]) سورة مريم الآيات: 5-7.

([38]) سورة الأنبياء الآيات: 89-90.

ISSN : 2410-1818

وفي أمر **يونس عليه السلام**، وهو محبوس في بطن الحوت، بعد أن ذهب مغاضبًا من تكذيب قومه له، **قَالَ تَعَالَى:**﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾[39].

وفي أمر سليمان عليه السلام، الذي طلب ملكًا خاصًا لا يبلغه غيره: **قَالَ تَعَالَى:**﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ ﴾ [40].

وجاء في السنة النبوية نصوص كثيرة تجسد الدلالة الحسية لقانون السببية، القائم على التأثير والتأثر والدلالة على المؤثر، فالدعاء من العبد الضعيف العاجز الفقير المحتاج، والإجابة من ربه القوي القادر الغني الكريم، فيتغير الحال ويتبدل رأي عين لا ينكره إلّا جاحد معاند.

ومنها ما ثبت في الصحيح من خوف المشركين من إجابة دعوات المرسلين، لعلمهم بتحقق وقوع ذلك:

فرغم عناد المشركين من كفار مكة ومشركي أهل الكتاب وتكذيبهم وجحودهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، إلّا أنهم في قرارة أنفسهم كانوا يعلمون صدقه، ولا يمنعهم من اتباعه إلّا الكبر وتقليدهم الأعمى للأباء والأجداء على ما كانوا عليه وإن كان باطلًا ضلالًا، ومما يدل على ذلك خوفهم في مواضع عديدة من دعوات النبي صلى الله عليه وسلم، وتيقنهم من إجابة الله دعوة نبيه فيهم، وفي زمن استضعاف قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، وتسلّطهم عليه بالأذية، "كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجد النبي صلى الله عليه وسلم، وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا[41] أنظر لا أغني شيئًا، لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ثم

([39]) سورة الأنبياء الآيات: 87-88.

([40]) سورة ص الآيات: 35-39.

([41]) أي ابن مسعود راوي الحديث كما تبينه الروايات.

ISSN : 2410-1818

قال: "اللهم عليك بقريش". ثلاث مرات، **فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة**، ثم سمى: "اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط" - وعد السابع فلم يحفظ -، قال: فو الذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى، في القليب قليب بدر" [42].

وفي رواية مسلم: " **فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته**". ثم أقسم الراوي وهو ابن مسعود بمن بعث محمدًا بالحق أنه رأى من دعى عليهم المصطفى صرعى في قليب بدر[43].

هذه الحادثة لم تكن خافية بل كانت ظاهرة بمشهد كبراء قريش وفي مكان عام عند الكعبة، وممن حضرها ونقلها عبد الله ابن مسعود، وجمعُ الكفارِ الذين كانوا حول الكعبة يلعبون ويلهون، وأصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابوا من الأذى، وهو في ضعف وقلة حيلة وهوان على الناس، فبدعائه وخوف المشركين على أنفسهم ما يدل دلالة ظاهرة على أنهم موقنون بإجابة الله دعاء نبيه فيهم، فأصابهم ما أصابهم من الهلع والخوف، ومرت الأيام القلائل وتحقق المحْقُ بمن سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه، فكان ذلك من أقوى ما يثبِّتُ المؤمن على إيمانه، ويزيده يقينًا بصدق نبيه فيقسم الصحابي بمن بعث محمدًا بالحق أنه شهد إجابة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي قصة وفد نصارى نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أن التقوه: "ثم ساءلهم وسائلوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا: ما تقول في عيسى؟ فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى ليسرنا إن كنت نبيًا أن نسمع ما تقول فيه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما عندي فيه شئ يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى: " فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل هذه الآية:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [44].

([42]) صحيح البخاري (1/ 57) حديث رقم 240.

([43]) صحيح مسلم (3/ 1418)، حديث رقم (1794).

([44]) سورة آل عمران الآيات: 59 – 61.

ISSN : 2410-1818

فأبوا أن يقروا بذلك، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتملًا على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يؤمئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبيه: ... وإني والله أرى أمرًا ثقيلًا، والله **لئن كان هذا الرجل نبيًا مرسلًا فلاعناه لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك**، فقال له صاحباه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال رأيي أن أحكِّمَه فإني أرى رجلًا لا يحكم شططًا أبدًا، فقالا له أنت وذاك" [45].

فهذا قول عقلاء الوفد من نصارى نجران، والذي توافقوا عليه؛ لِمَا استقر في أذهانهم من استجابة الله تعالى لدعوات الأنبياء والمرسلين كدليل ملموس محسوس لا تنكره الأعين.

وبعد هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة واستمرار أذية قريش له ولمن آمن به، مع صدٍ عن سبيل الله كبير، دعا عليهم بقوله: "اللهم سبع كسبع يوسف"، فأخذتهم سنة حصت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، وينظر أحدهم إلى السماء، فيرى الدخان من الجوع، فأتاه أبو سفيان، فقال: يا محمد، إنك تأمر بطاعة الله، وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم" [46].

لقد علم كفار قريش أن رسولَ الله مجابُ الدعوة عندَ الله، فجاؤوا يطلبون دفع ما أصابهم من البلاء والقحط؛ لأنهم على يقين أن الله مجيبٌ دعوة نبيه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [47].

وفي رواية مسلم: قال: "فدعا الله لهم، فأنزل الله عز وجل:﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[48]، قال: فمطروا ... الحديث" [49].

أمّا في المدينة المنورة وفي أوساط الثلة المؤمنة التي تستحق من الدلائل أيضًا ما يقوي إيمانها، ويثبتها على الحق، ويمسّكها الصراط المستقيم، فقد أصاب الناسَ الجدبُ وقلةُ الماء وجفافُ الضرع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فقام أعرابي وهو يخطب الجمعة على المنبر فقال: يا رسول الله، هلك المال،

([45]) البداية والنهاية ط إحياء التراث (5/ 65).

([46]) صحيح البخاري (2/ 27)، حديث رقم (1007).

([47]) سورة الأنعام الآية: 33.

([48]) سورة الدخان الآية:15.

([49]) صحيح مسلم (4/ 2156)، حديث رقم: (2798).

ISSN : 2410-1818

وجاع العيال، فادع الله لنا. يقول أنس بن مالك: فرفع يديه، وما نرى في السماء قزْعة [أي قطعة من السحاب]، فوالذي نفسي بيده ما وضعهما حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته صلى الله عليه وسلم , فمُطرنا يومنا ذلك ومن الغد، وبعد الغد، والذي يليه، حتى الجمُعَة الأخرى.

وفي الجمعة الأخرى قام ذلك الأعرابي، أو قال: غيره، فقال: يا رسول الله، تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه فقال: "اللهم حوالينا ولا علينا". يقول أنس: فما يشير بيده إلى ناحيةٍ من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجَوْبة ، وسال الوادي قناة [50]، شهراً، ولم يجيء أحدٌ من ناحيةٍ إلا حدّث بالجُوْد" [51].

فكان نزول القطر وتوقف المطر ودفع الضرر عن المدينة بدعائه عليه الصلاة والسلام، ولم يكن في عالم الأسباب المادي المألوف ما ينبئ عن المطر، فلا سُحُبَ ولا موسم للقطر ولا شيء غير ذلك الطلب الملهوف من الأعرابي المستنجِد، والدعاء الخالص من النبي الصادق المخلَص.

ومن دعواته المستجابة ما ورد في حديث أنس، قال: جاءت بي أمي؛ أم أنس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أزرتني بنصف خمارها، وردتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله، هذا أنيس ابني، أتيتك به يخدمك فادع الله له، فقال: "اللهم أكثر ماله وولده" قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة، اليوم" [52].

ومثل ما وقع لأنس من بركات دعواته صلى الله عليه وسلم وقع كذلك لعروة البارقي عندما دعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة في ماله، فعن عروة بن أبي الجعد البارقي قال: عرض للنبي صلى الله عليه وسلم جلب، فأعطاني دينارًا وقال: " أي عروة، ائت الجلب، فاشتر لنا شاة "، فأتيت الجلب، فساومت صاحبه، فاشتريت منه شاتين بدينار، فجئت أسوقهما، أو قال: أقودهما، فلقيني رجل، فساومني، فأبيعه شاة بدينار، فجئت بالدينار، وجئته بالشاة، فقلت: يا رسول الله، هذا دينارك، وهذه شاتك. قال: " وصنعت كيف؟ " قال: فحدثته الحديث، فقال: " اللهم بارك له في صفقة يمينه "

([50]) الجوبة: هي حفرة مستديرة واسعة، والمراد بها هنا الفُرجة في السحاب، ووادي القناة اسم لوادٍ مشهور من أودية المدينة. ينظر فتح الباري (479/2).

([51]) رواه البخاري حديث رقم (1013)، ومسلم حديث رقم (897) واللفظ له.

([52]) صحيح مسلم حديث رقم (2481)، (4/ 1929).

ISSN : 2410-1818

فلقد رأيتني أقف بكناسة (الكوفة، فأربح أربعين ألفاً قبل أن أصل إلى أهلي، وكان يشتري الجواري ويبيع" [53].

وما ذكرتُ في باب الدعاء والاستجابة إلا شيئًا يسيرًا، إذ يطول البحث في السنة لكثرة الأحاديث الدالة على استجابة المولى عز وجل لدعوات نبيه صلى الله عليه وسلم، ومظانها في كتب السنة المطهرة أبواب الدعاء وآدابه، وأبواب دلائل النبوة وبينات الرسالة.

فهذا طرف من الآيات القرآنية وأحاديث السنة النبوية الدالة على استجابة الدعاء عند حلول البلاء، أو طلب النعماء، وهي من الكثرة فلا يتسع المقام لحصرها، وتستحق أن تفرد بمؤلف يجلي جوانب الدلالات الحسية على الربوبية والألوهية وجوانب العبودية، والدلالة على صدق الرسالة والنبوة.

وهذا الدليل الحسي ما زال قائمًا اليوم ويمكن الاستشهاد به، ولا يصح الطعن بأن أعيان الوقائع التي حصلت للأنبياء والأولياء والصالحين قد ذهب أثرها الحسي[54]؛ لأن المعنيّ بها من شهدها ولزم إقامة الحجة عليهم في زمانه ومكانه، وغيابها عنا اليوم لا يؤثر لأنها قد نقلت لنا ووثقت بأعلى درجات التوثيق الممكنة في نصوص الوحي المعصوم، وليس ذلك فحسب بل إن الواقع المعاش اليوم مليء يعج بالشواهد على حصول نفس الأثر للدعاء والاستجابة، ولو استقرأ الإنسان الوقائع التي حصلت له ولغيره في باب الدعاء والإجابة ووثّقها؛ لخرج بسفر عظيم يحوي قصصًا من الواقع موثقة تحكي ما لا حصر له من إجابة دعوات السائلين والمضطرين، في تواتر يقطع الشك باليقين، والكفر بالإيمان، والجحود بالتسليم والإذعان.

الدليل الحسي الثالث: الآيات الكونية المنظورة.

ما كان الله سبحانه وتعالى ليذر العباد على غواية وضلال دون هدايتهم وإرشادهم إليه، ودلالتهم عليه، فهو الهادي سبحانه، وهو العدل ذو الحكمة البالغة، والرحمة السابغة، فهدى عباده بالفطرة التي جبلهم عليها، وأرشدهم بأدلة الحس المشهودة التي يجدها الخلق في أنفسهم قائمة وفي الآفاق ناطقة، فيجول الفكر والخاطر في رحابها ليهتدي إلى الحق بإذنه، ويتعقل الحكمة من ورائها فيصل إلى الحكيم سبحانه، وهذا من كمال رحمة الله بعباده وكمال عدله فلا يشقيهم بالكفر والضلال دون بيان للإيمان والهدى، ولا يحاسبهم وقد سلب منهم الإرادة والاختيار؛ فبعد النظر والتأمل والاستبصار، وإرسال الرسل وتأييدهم بالبينات والمعجزات الظاهرات، وإنزال الكتب المسطورة وفيها

([53]) مسند أحمد ط الرسالة (32/ 106، 107)، وقال محققه مرفوعه صحيح، وهذا إسناد حسن.

([54]) وهذه من أبرز مطاعن الملاحدة المعاصرين.

ISSN : 2410-1818

كلمات الله تعالى الشرعية والكونية الخالدة، وفيها أمره ونهيه وخبره ووعده ووعيده، بسط الله كتابه المنظور المحكم، وفيه آياته الكونية وبيناته الحسية والعقلية المتلائمة مع فطرة الإنسان السوية، بهذا تقوم الحجة الإلهية الربانية على الخلائق فيجري عليهم الحساب بعد ذلك، لأنه لا عذاب إلّا بقيام الحجة، ولا حجة معتبرة إلّا برسالة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[55]. و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[56].

ولا رسالة إلّا ببينات وبراهين تثبت صدق المرسلين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[57].

وقد تنوعت حجج الله على خلقه في الدلالة والأثر بين معقول ومنقول وفطري ونظري، وفي هذه الآية جعل الله طريق قيام الحجة حسيًا ملموسًا طريقه المشاهدة والرؤية البصرية التي توصل إلى غاية هي: استبانة الحق ووضوح السبيل إلى الخالق الجليل، ودينه الذي ارتضاه لعباده، وكتابه المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، فهل بعد الحق إلّا الباطل، وهل بعد الهدى إلّا الضلالة، وهل بعد الرشد إلّا الجهالة.

ودليل النظر والتفكر في الأنفس والآفاق من أقوى الأدلة الحسية تأثيرًا على الإيمان واليقين، بل يزيل الشك ويذهب الريبة، ويربط على قلوب المؤمنين برباط الطمأنية والثقة المطلقة بما جاءهم من الغيب المتعلق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ما اتصل بها من قضايا.

قال ابن تيمية: "والنظر إلى المخلوقات العلوية والسفلية على وجه التفكر والاعتبار مأمور به مندوب إليه"[58]. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ ﴾[59].

([55]) سورة الإسراء من الآية: ١٥.

([56]) سورة النساء الآية: ١٦٥.

([57]) سورة فصلت الآية: ٥٣.

([58]) مجموع الفتاوى (15/ 343).

([59]) سورة يونس من الآية: 101.

ISSN : 2410-1818

فأمر سبحانه بالنظر في الملكوت المحيط بهذا الإنسان، أمرًا للوجوب ويقتضي الامتثال، ويتضمن النهي عن تعطيل ما أنعم به سبحانه على عباده من آلة الإبصار، الموصلة إلى التعقل والاعتبار، ومالا يتم الواجب إلّا به فهو واجب، إذ لا يتم امتثال الأمر بالنظر في ما حوت السموات والأرض إلّا بالحركة والسير والتجوال الفاحص، بغرض التقصي والاستقراء التام أو الناقص الذي به يحصل المراد من الهداية للخالق سبحانه، والوقوف على عظيم صنعه الدال على وجوده ووحدانيته وتفرده بالربوبية والألوهية والعظمة المطلقة، والكمال والجلال الذي لا يحده حد ولا يستوفيه وصف، وقال سبحانه مؤكدًا ذلك:

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [60]. **قال ابن القيم:** " وأحسن ما أنفقت فيه الأنفاس التفكر في آيات الله وعجائب صنعه والانتقال منها إلى تعلق القلب والهمة به, دون شيء من مخلوقاته " [61].

وقد ذم الله المعرضين عن التفكر فقال سبحانه وتعالى:﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[62]. فيخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكر في آيات الله، ودلائل توحيده بما خلقه الله في السموات والأرض [63].

فالآيات الكونية هي من أعظم الدلائل الحسية والبراهين القطعية، ولها أكبر الأثر على الإيمان بالله تعالى واليقين بوحدانيته، ويكون في إعمال النظر المأمور به شرعًا قيام للحجة التي يستلهمها الناظر من الحقيقة الكامنة في هذا الوجود؛ الناطقة بالتوحيد للرب المعبود سبحانه قائلة:"إن هذا الكون لم يُخلق عبثًا ولا باطلًا"، فلا يملك العبد الناظر بعين بصره المستهدي ببصيرته إلا أن يعلن قائلاً: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [64]، فلقد كان وجوده وخلقه بأمرك وحدك دون سواك، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ

([60]) سورة العنكبوت الآية: 20.

([61]) مفتاح دار السعادة (221/1).

([62]) سورة يوسف الآية: ١٠٥.

([63]) ينظر: تفسير ابن كثير (418/4)، مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص: 326).

([64]) سورة آل عمران من الآية: ١٩١.

ISSN : 2410-1818

يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [65].

فالشمس والقمر والنجوم، مسخرات بأمره وتدبيره, وعلمه وحكمته، فله الخلق كله الذي صدرت عنه جميع المخلوقات, **ويتضمن أحكامه الكونية القدرية, وله الأمر كله المتضمن للشرائع والنبوات, وهذا يتضمن جميع أحكامه الدينية الشرعية**؛ فتبارك سبحانه وتعالى في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها, فهو رب العالمين، الخالق البارئ المنعم المتفضل المدبر لشؤون خلقه، وهو الرب المعبود وحده [66]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[67].

وهذه الآية واضحة الدلالة في الربط بين الأمر بالعبادة للرب سبحانه الذي تجلت عظمته في أفعاله وتدبيراته لهذا الكون المحيط بكم، و"إن الله سبحانه إنما يذكر للدلالة عليه أظهر المخلوقات للحس والعقل، وأبينها دلالة، وأعجبها صنعة، كالسماء والأرض والشمس والقمر، والجبال، والإبل ونحو ذلك" [68].

فالاستدلال بالأدلة الشرعية التي أوردها القرآن الكريم، في معرض إثبات قضايا الإيمان الكبرى لهو من أوضح وأبين وأقوى طرق الاستدلال الحسية الظاهرة القاهرة، فالبيان القرآني المعجز فيه من السهولة واليسر، ووضوح المقصود والدلالة، ما يغني عن تعقيدات الفلاسفة والمناطقة والمتكلمين، وذلك لملامسة الوحي أفهام جميع الناس بمختلف مداركهم العقلية خصوصًا ما ورد في سياق الأدلة الحسية المشاهدة الملموسة في الكون والأنفس.

([65]) سورة الأعراف الآية: ٥٤.

([66]) بتصرف واختصار من تيسير الوصول إلى ثلاثة الأصول – لعبد المحسن القاسم (ص: 53).

([67]) سورة البقرة الآيات: 21-22.

([68]) التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام (ص: 253).

ISSN : 2410-1818

"وهذه الطرق قد اشتملت على نوعين، ذكرها ابن رشد، وبين أنهما الطرق الشرعية السليمة التي سلكها القران الكريم، وأرشد إليها وهما ما يسمى بدليل العناية، ودليل الاختراع" [69].

الدليل الحسي الرابع: النظر في الأنفس.

النظر في النفس البشرية وما خلقها عليه الله سبحانه وتعالى هو من أعظم الأدلة الحسية القريبة التي تدل على آثار الصنعة الإلهية وتشير إلى إثبات الصانع، **يقول البيهقي**: "وحثهم على النظر في أنفسهم والتفكر فيها، فقال: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾[70]، يعني لما فيها من الإشارة إلى آثار الصنعة الموجودة في الإنسان، من يدين يبطش بهما، ورجلين يمشي عليهما وعين يبصر بها، وأذن يسمع بها، ولسان يتكلم به، وأضراس تحدث له عند غناه عن الرضاع، وحاجته إلى الغذاء، يطحن بها الطعام، ومعدة أعدت لطبخ الغذاء، وكبد يسلك إليها صفوه، وعروق ومعابر تنفذ فيها إلى الأطراف، وأمعاء يرسب إليها ثقل الطعام، ويبرز عن أسفل البدن فيستدل بها على أن لها صانعاً حكيماً، عالماً قديراً" [71].

ومن الآيات المحسوسة في خلق الله لهذا الإنسان، على أطوار مختلفة، يستحيل أن يمر بها بتقدير من نفسه وتدبير من ذاته، فلا بد لها من مريد فاعل قادر، نفذت إرادته وتجلت حكمته، "وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز، تحول أنفسنا من حالة إلى حالة، وتغيرها، ليستدل بذلك على خالقها، ومحولها، فقال تَعَالَىٰ:﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ ﴾[72].

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ﴾[73].

([69]) ينظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص: 123).

([70]) سورة الذاريات آية: 21.

([71]) الاعتقاد ص:8.

([72]) سورة نوح آيات: 13-14.

([73]) سورة المؤمنون آية: 12-15.

ISSN : 2410-1818

"فهذا استدلال بخلق الإنسان على هذه الصورة على وجود خالقه ومدبره، وهو الله سبحانه، وهو دليل واضح لا غموض فيه، وسهل خال عن التعقيد، وعن هذا الدليل القيم **يقول ابن تيمية**: "الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها، وبينها وأرشد إليها، وهي عقلية، فإن نفس كون الإنسان حادثاً، بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة، ثم من علقة، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم، سواء أخبر به الرسول، أو لم يخبر، لكن الرسول أمر أن يستدل به، ودل به، وبينه، واحتج به، فهو دليل شرعي، لأن الشارع استدل به، وأمر أن يستدل به، وهو عقلي لأنه بالعقل تعلم صحته" [74].

فدليل النظر في الملكوت والأنفس دليل حسي، عقلي، فطري، موصل للاستدلال على وجود الله تعالى، وعلى ربوبيته لهذا الكون، واستحقاقه التفرد بالألوهية دون سواه، "والاستدلال بمثل هذا النوع من الأدلة هو منهج السلف إذ من منهجهم قبول كل دليل اتفقت العقول على صحته، وكان شرعياً بمعنى أن الشارع قد أتى به، وأمر الناس أن يستدلوا به" [75].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (إذا قيل لك: بم عرفت ربك فقل: بآياته ومخلوقاته)، يعني: عرفته بآياته التي منها الليل والنهار والشمس والقمر، وبمخلوقاته التي منها السموات والأرض وسائر المخلوقات، وهذه المخلوقات دالة على أن لها خالقاً [76].

المبحث الثاني

أثر الأدلة الحسية على الإيمان واليقين عند الأنبياء والكافرين والمؤمنين. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أثر الأدلة الحسية على الكافرين. وفيه فرعان:

الفرع الأول: أثر الأدلة الحسية على المعرضين من الكافرين.

الفرع الثاني: أثر الأدلة الحسية على المهتدين من الكافرين .

([74]) كتاب النبوّات لابن تيمية (48.

([75]) البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص: 127).

([76]) شرح كتاب اعتقاد أهل السنة لابن جبرين (3/ 9، بترقيم الشاملة آليا).

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: أثر الأدلة الحسية على إيمان ويقين الأنبياء والمؤمنين. وفيه فرعان:

الفرع الأول: أثر الأدلة الحسية على إيمان ويقين الأنبياء عليهم السلام.

الفرع الثاني: أثر الأدلة الحسية على إيمان ويقين المؤمنين.

المطلب الأول: أثر الأدلة الحسية على الكافرين. وفيه فرعان:

الفرع الأول: أثر الأدلة الحسية على المعرضين من الكافرين.

توطئة: كل تصور لا يستند إلى الحس و كل تصديق لا يستند إلى الدليل، لا يعتبر من المعارف ولا من العلوم، ولا يكترث الإنسان السوي برد ذلك وعدم الوقوف عنده، وإنما نحتاج إلى التريث في فهم وتعقل وإدراك المعارف والعلوم التي تقوم على الحس والمشاهدة، وعلى الدليل الذي نُعْمِلَ فيه النظر والفكر كوسيلة للاستنباط والاستنتاج الصحيح، وقد يكون الدليل مركبًا من مقدمات سهلة يسيرة تفضي إلى نتائج واضحة، أو مقدمات معقدة متداخلة تفضي إلى نتائج فيها من الغموض ما لا تدركه جميع العقول البشرية، ويصعب على الإنسان أن يترك ما ألفه ونشأ عليه أو ورثه من الاعتقادات والتصورات والتصديقات؛ ولهذا تكفل الله سبحانه وتعالى أن يقيم البراهين والدلائل والبينات في دعوة الرسلِ الكفارَ إلى التوحيد والإيما، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾[77].

فدّلت الآية أن الكفار والمشركين من عنادهم وجحودهم ما كان لهم أن ينفكوا عما هم عليه من اعتقادات وتصورات فاسدة؛ ورثوها من أبائهم، حتى يأتيهم الله بالبينة التي توضح لهم صدق الرسل والأنبياء فيما جاؤا به من دين، وما أخبروا به عن الله تعالى، وعن ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وسائر الغيبيات، التي لم يطلعوا عليها، ويلزمهم التسليم بها لتكتب لهم النجاة من سخط الله وعذابه، والفوز برضوان الله ونعيمه.

وقد كان طريق الأنبياء شاقًا في دعوة قومهم للتوحيد والإيمان، وترك الشرك والأوثان، وكان التكذيب والإيذاء والتعذيب هو ردة الفعل التي واجه بها المشركون أنبياءهم ورسلهم عليهم الصلاة والسلام، بعد سجال الكلمة والجدال والمطالبة بالبينة والبرهان، وكأنهم يريدون الحق بدليله.

([77]) سورة البينة الآية: 1.

ISSN : 2410-1818

إعراض الكفار عن البينات والأدلة الحسية التي أجراها الله على أيدي رسله:

باستقراء الآيات القرآنية والسنة النبوية يجد الباحث أن موقف الكفار من البينات لم يكن على الدوام موقفاً واحدًا، بل تعددت مواقفهم بين رفض وعناد وجحود وإنكار، وبين قبول واستجابة وهداية وتصديق وإقرار، وموقف الإعراض والتكذيب، والإيذاء والتعذيب للرسل والأنبياء وأتباعهم؛ يمكن التعريج عليه بالوقوف على نماذج مما ورد في القرآن الكريم من ذلك:

فهذا نبي الله هود عليه السلام يعرض لنا القرآن الكريم سجاله وجداله مع قومه، قال تعالى حكاية عن قوم هود عليه السلام ومطالبتهم له بالبينة والبرهان على صدقه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [78].

فقولهم: ﴿يا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي بحجة تبين لنا فيها صدق ما تدعيه من الرسالة وما تدعونا إليه من التوحيد وترك عبادة آلهتنا التي ذممتها وتهكمت بها، وقنّطوه من الاستجابة لما دعاهم إليه من الخير لأنه في زعمهم الباطل عارٍ عن الدليل والحجة فردوه لذلك [79].

"ولقد سلكوا في طريقة المخالفةِ والعناد سبيل الترقي من الأدنى إلى الأعلى حيث أَخبَروا أولاً عن عدم مجيئِه بالبينة"[80]. ثم اتهموه في عقله، وأن آلهتهم انتقمت منه بأن أصابته بمس جنون وألحقت به الضر؛ لتهكمه وقدحه بها، فكان لزامًا عليه أن يسقط وهم ألوهيتها من أذهانهم ويبطله أمام أعينهم فأعلن التوحيد الخالص لله تعالى وحده، مبارزًا به جموعهم الغاضبة، متحديًا أصنامهم، مبطلًا معتقداتهم، بدلالة حسية مشهودة ومنظورة، يطلب فيها أن يكيدوه أو يضروه إن استطاعوا ذلك، فهم تحت حكم ربه وخالقه أذلاءُ صاغرون، ليس بيدهم ضرٌ ولا نفعٌ ولا موتٌ ولا حياةٌ ولا نشورٌ. وحكى القرآن ذلك في قوله تعالى:﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [81].

([78]) سورة هود الآية: 53.

([79]) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (2/ 286).

([80]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (4/ 217).

([81]) سورة هود الآيات: 54- 56.

ISSN : 2410-1818

فبعد الإلباس الذي صدر من قوم هود عليه السلام، احتاج الموقف من نبي الله إلى دليل حسي واضح، وبيان ملموس فاضح لما هم عليه من ضلال وعناد ومكابرة، فجاء البرهان على وجه الإعجاز والتحدي بالدليل الحسي المشهود، الذي لا يجحده إلّا مكابر.

وخطورة مثل هذا التحدي أنه يمس ذات النبي عليه الصلاة والسلام وسلامته، فلو كسر المقابل من الكفار هذا التحدي، لتسلطوا بالتلف على أجساد الأنبياء الطاهرة، وبالإزهاق لأرواحهم الزاكية، وبالإبطال لدعوتهم والتكذيب لرسالتهم التي جاءت بالتوحيد لله تعالى، ونبذ الشركاء المعبودين دونه، وبهذا سينتصر الكفر على الإيمان، وسيعلوا سهم المشركين عبدة الأوثان على حملة الرسالة، فتذهب أنوار الوحي والهداية، وهذا الذي لم يحصل حسًا ولا واقعًا، بل نقيضه الذي كان وأثره الذي ظهر على الدنيا وبان، دون جحود ونكران ممن أنصف من نفسه واستجاب لربه.

إن هذا النوع من التحدي بالنفس وتعريضها لكيد الخصوم وآلهتهم مجتمعين غير متفرقين، متظافرين متعاونين، بعد إغاضتهم في مقدساتهم، وإبطال معتقداتهم، هو مسلك للأنبياء والرسل قبل هود عليه السلام وبعده، وفيه "دليل واضح على أنه لا يخافهم ولا يخاف آلهتهم، وقد صدرت مثل هذه المقالة عن نوح عليه السلام إذ قال: ﴿ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ ﴾[82]. كما لقن الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم مثل هذا بقوله: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥ ﴾ [83].

"فعدم الخوف منهم ومن آلهتهم، إذ وكل أمر حفظه وخذلانهم إلى ربه وربهم، ومالك أمره وأمرهم، المتصرف فى كل مادب على وجه الأرض والمسخر له وهو سبحانه مطلع على أمور العباد، مجاز لهم بالثواب والعقاب، كاف لمن اعتصم به، وهو لا يسلّط أهل الباطل من أعدائه على أهل الحق من رسله ولا يفوته ظالم" [84].

ومثلما تعنت قوم هود هودًا عليه السلام، كذلك فعل مشركوا العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم، بل أقسموا على أنه إن جاءهم بالبينة والبرهان ليستجيبون إلى ما دعاهم إليه من الإيمان، قال

([82]) سورة يونس من الآية: ٧١.

([83]) سورة الأعراف من الآية: ١٩٥.

([84]) تفسير المراغي (12/ 49).

ISSN : 2410-1818

تعالى حاكيًا ذلك عنهم، ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠٩ ﴾ [85].

قال السعدي: " وهذا الكلام الذي صدر منهم، لم يكن قصدهم فيه الرشاد، وإنما قصدهم دفع الاعتراض عليهم، ورد ما جاء به الرسول قطعًا، فإن الله أيد رسوله صلى الله عليه وسلم، بالآيات البينات، والأدلة الواضحات، التي -عند الالتفات لها- لا تبقي أدنى شبهة ولا إشكال في صحة ما جاء به، فطلبهم -بعد ذلك- للآيات من باب التعنت، الذي لا يلزم إجابته، بل قد يكون المنع من إجابتهم أصلح لهم، فإن الله جرت سنته في عباده، أن المقترحين للآيات على رسلهم، إذا جاءتهم، فلم يؤمنوا بها -أنه يعاجلهم بالعقوبة، ولهذا قال:﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: هو الذي يرسلها إذا شاء، ويمنعها إذا شاء، ليس لي من الأمر شيء، فطلبكم مني الآيات ظلم، وطلب لما لا أملك، وإنما توجهون إلى توضيح ما جئتكم به، وتصديقه، وقد حصل، ومع ذلك، فليس معلوما، أنهم إذا جاءتهم الآيات يؤمنون ويصدقون، بل الغالب ممن هذه حاله، أنه لا يؤمن، ولهذا قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠٩ ﴾ [86]" [87].

وقد وهب الله عباده الحواس للانتفاع بها في معاشهم ومعادهم، فهي منحة ورحمة منه سبحانه وتعالى لإدراك الحقائق، والاستفادة في البحث والنظر والتفكر والاعتبار، وطلب المنافع ودفع المضار الدنيوية والأخروية، وقد سلك الكفار مسلك التعطيل لهذه الحواس، فتعاموا عن إدراك الحق والانتفاع به، وتغشاهم الشيطان فصرفهم عن سبيل الهدى، إذ يسمعون كل مسموع إلّا نداء الحق فيصمّون عنه، ويبصرون كل مبْصَرٍ إلّا آيات الله البينات الدالات عليه سبحانه وتعالى فلا يرونها، قال تعالى مبينًا موقف الكفار من البراهين والحجج:﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ١٠٥ ﴾ [88]. "فالرزية كل الرزية في الإعراض عن الآيات والتغافل عن المشاهدات والمبصرات

([85]) سورة الأنعام آية: 109.

([86]) سورة الأنعام من الآية: ١٠٩.

([87]) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: 269).

([88]) سورة يوسف الآية: 105.

ISSN : 2410-1818

والمسموعات والمحسوسات"[89]. وكم لله من آية في السموات والأرض وعبرةٍ وحجةٍ، كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات، وكالجبال والبحار والنبات والأشجار وغير ذلك من آيات الأرض، يمر عليها الكافرون ويعاينونها معرضين عنها، لا يعتبرون بها، ولا يفكرون فيها وفيما دلت عليه من توحيد ربِّها، وأن الألوهيةَ لا تنبغي إلا للواحد القهَّار الذي خلقها وخلق كلَّ شيء، فدبَّره سبحانه [90].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[91]. وليس هذا قصورًا في البيان وإقامة الحجة؛ فإن الآيات مشاهدة محسوسة ملموسة، ولكن القلوب معرضة عن الحق غير قابلة له؛ لكبرها وعنادها وفرط جهلها وضلالها، وفي هؤلاء المبطلين الجاحدين المعطلين لحواسهم عن إدراك الحقائق، النافرين عن الحق، قال تعالى متوعدًا: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[92].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[93]."أي: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك، السائليك الآياتِ على صحّة ما تدعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان: انظروا، أيها القوم، ماذا في السمواتِ من الآيات الدّالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله، من شمسها وقمرها، واختلافِ ليلها ونهارِها، ونزول الغيث بأرزاق العبادِ من سحابها، وفي الأرض من جبالها، وتصدُّعها بنباتها، وأقوات أهلها، وسائر صنوف عجائبها، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبَّرتم موعظة ومعتبرًا، ودلالةً على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك، ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يُغْنيكم عما سواه من الآيات [94].

([89]) بتصرف من التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: 279).

([90]) بتصرف من جامع البيان للطبري (16/ 285).

([91]) سورة يس الآية: 46.

([92]) سورة الأعراف الآية: 179.

([93]) سورة يونس الآية: 101.

([94]) جامع البيان للطبري (15/ 214، 215).

ISSN : 2410-1818

"وقوله: ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، أي: وما تغني الآيات والنذر عن قوم همتهم المكابرة والمعاندة، إنما تغني الآيات من همته القبول والانقياد، وأما من همته المكابرة والعناد فلا تغني"[95]. "فلم يزدد الرسول عليهم إتيانا بالآيات، وإظهارًا من المعجزات إلا ازدادوا ريبًا على ريَب وشكًّا على شك، وهكذا سبيل من أعرض عن الحق سبحانه، لا يزيده ضياء الحجج إلّا عمىً عن الحقيقة"[96].

وقد بيّن القرآن الكريم أثرًا من آثار الأدلة الحسية على أهل العماية والغواية والظلالة من الكفار المعاندين، الذين لا يبحثون عن الحق ولا يحرصون على معرفته، بل يتدرّعون ويتحصّنون بالإعراض والعناد، فهؤلاء سيرفضون الحق ولو خُرِقَتْ لهم السُنَنُ، وقامت أمامهم البينات الظاهرات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[97].

وكانت سنة الله الجارية في هذا الصنف من الكفار المعرضين المعاندين المكذبين الجاحدين، غوايتهم والطبع على قلوبهم وتعجيل العقوبة لهم بإهلاكهم، واستبدال من هو خير منهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾[98].

والمعنى: " فإن استمررتم على ما أنتم عليه من التولّى والإعراض وأبيتم إلا تكذيبى، فقد أبلغتكم رسالة ربى التي أرسلنى بها إليكم، وليس علىّ غير البلاغ وقد لزمتكم الحجة وحقت عليكم كلمة العذاب. ﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ ﴾ أي: إن الله يهلككم ويستخلف فى دياركم وأموالكم قوما آخرين، ﴿ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً ﴾ بتوليكم عن الإيمان، فإنه غنىّ عنكم وعن إيمانكم، وهو بمعنى قوله ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ، وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾، ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلى

([95]) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (6/ 89).

([96])لطائف الإشارات = تفسير القشيري (1/ 69).

([97]) سورة الأنعام آية: 111.

([98]) سورة هود الآية: ٥٧.

ISSN : 2410-1818

كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ أي إن ربى رقيب على كل شيء قائم بالحفظ عليه على ما اقتضته سننه وتعلقت به إرادته، ومن ذلك أنه ينصر رسله ويخذل أعداءهم إذا أصروا على الكفر بعد قيام الحجة عليهم" [99].

"وقال تعالى:﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[100]. أي: ونعاقبهم، إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيهم فيها الداعي، وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم.

وهذا من عدل الله، وحكمته بعباده، فإنهم الذين جنوا على أنفسهم، وفتح لهم الباب فلم يدخلوا، وبين لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق، كان مناسبًا لأحوالهم" [101].

وقال تعالى:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[102].

([99]) تفسير المراغي (12/ 49).

([100]) سورة الأنعام الآية: 110.

([101]) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: 269).

([102]) سورة يونس الآية: 74.

ISSN : 2410-1818

الفرع الثاني: أثر الأدلة الحسية على المهتدين من الكافرين.

لقد كان من أثر الأدلة الحسية والبراهين المادية التي زود الله بها الرسل والأنبياء أن استجاب طوائف من الكفار لنداء التوحيد، فذلت للحق رقابهم، وحطوا في رحاب التصديق ركابهم، ونطقت بالشهادة ألسنتهم، وما ذلك إلّا لأنهم حرصوا على البحث عن الحق ومعرفته، فلما استبان لهم أقبلوا عليه و انقادوا له، فيسر الله لهم الاستجابة والهداية ورزقهم الإيمان؛ لِمَا علم في قلوبهم من خير.

ومن أبرز الأمثلة التي تبين انتفاع هذا الصنف من الكفار بالأدلة الحسية التي كان لها أبلغ الأثر عليهم؛ باستجابتهم لداعي الحق وانتقالهم من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان:

أولًا: هداية بلقيس ملكة سبأ واستجابتها لدعوة نبي الله سليمان.

لقد ساق الله تعالى قصة نبيه سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، في آيات من سورة النمل، وورد في ثناياها ما تفضّل الله به على نبيه سليمان عليه السلام من آية عظيمة لا تكون لغير نبي وهي تسخير عالم الجان والشياطين، فما إن جاءت الملكة إليه صاغرة هي وقومها إلّا وأبرز لها من قوة ما أيده الله به من السلطان ما استوقفها وشرح للإيمان صدرها وكان سبب هدايتها، قال تعالى حاكيًا ذلك:

﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[103].

فاستخدم سليمان عليه السلام لدعوتها دليلًا حسيًا ملموسًا أمام ناظرها، وهو عرش ملكها الذي تجلس عليه في مملكتها البعيدة عنه[104]، والذي جعله منتصبًا أمامها، مع شيء من التنكير له والتغيير لبعض ملامحه بالزيادة فيه والنقصان، اختبارًا لها ولذكائها، ووصولًا إلى الغاية من مجيئها ودعوتها للإسلام، قال عليه السلام مبينًا هدفه من ذلك: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا

([103]) سورة النمل الآيات: 41-44.

([104]) في أرض سبأ بمنطقة مأرب اليمن كما ذهب إليه عامة أهل التفسير. ينظر: جامع البيان للطبري (19/ 469)، تفسير ابن كثير (6/ 196)، فتح القدير للشوكاني (4/ 162).

ISSN : 2410-1818

يَهْتَدُونَ ﴾[105]، أي: أتهتدي "للدين والايمان بنبوّة سليمان عليه السلام إذا رأت تلك المعجزة البيّنة، من تقدّم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحرس" [106].

ولرجاحة عقلها وسلامة مقصدها في قدومها على سليمان عليه السلام، ووقوفها على سلامة وصحة بيّنته، وظهور معجزته؛ الدالة على صدق رسالته ونبوته؛ ولما رأت مما آتاه الله من الملك والعظمة؛ انقادت لأمر الله تعالى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين، كما حكاه عنها القرآن الكريم: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [107].

ثانيًا: هداية سحرة فرعون بعد أن رأوا الآيات.

كان نبي الله موسى عليه السلام على موعد مع ربه سبحانه وتعالى في الوادي المقدس طوى ، وفيه كان الإكرام والإنعام، بالمنادة والمناجاة والكلام بين العبد والرب سبحانه، وحمل الرسالة والتكليف بدعوة فرعون وقومه، ولم يرسل الله رسوله دون تأييد بالبينة والبرهان والحجة، فقد أعطاه الله معجزة العصا التي كانت جامدة بيده تلازمه على الدوام، يسوق بها دواب الأرض والأغنام، ويتوكأ عليها، ويقضي بها مآرب أخرى، فأراد الله تعالى أن تتحوّل العصا الجامدة بقدرته وحده إلى كائن حي مرعب مخيف وهي الحية التي تسعى بعد أن اهتزت في يده كأنها جان فولى منها مدبرًا؛ وهي التي ستلقف إفك السُّحّار وتبطل دجلهم، ولم يكن تحول العصا إلى حيّة تسعى بالأمر السهل المألوف لدى موسى عليه السلام، فقد استوحش وخاف ونفر منها بعد تحولها، حتى ثبته الله وربط على قلبه وفؤاده بالإيمان واليقين، وجعل الله العصا بيد نبيه عليه السلام بينة ودليلًا حسيًا ملموسًا، يعجز عنه البشر، وذلك تثبيتًا لفؤاد رسوله ونبيه وتقوية لحجته ودمغًا وكبتًا لعدوه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[108].

وبعد هذه التهيئة العظيمة لأداء المهمة الجسيمة، وهي دعوة أكبر طاغية عرفته البشرية، استخف قومه فأطاعوه في الكفر والوثنية، وجعلوه إلها معبودًا لهم من دون الله رب البرية، ذهب موسى عليه

([105]) سورة النمل الآية: 43.

([106]) ينظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 369).

([107]) سورة النمل الآية: 44.

([108]) سورة طه الآيات: (17-21).

ISSN : 2410-1818

السلام بأمر الله تعالى مبلغًا رسالة ربه لفرعون الطاغية ومن معه، ولما حصلت المحاجّة واستبان الحق؛ طلب فرعون المواجهة بين سحرته وبين موسى عليه السلام في يوم مشهود ومكان فسيح معهود، يقدّم فيه موسى عليه السلام أدلته وبراهينه الحسية المشاهدة، وما ذاك إلا لقناعته ومن معه بقوة الدليل الحسي، مع اعتقادهم عجز موسى عليه السلام عن الاتيان به، فأرادوا تعجيزه بما طلبوا منه، ليُسْقِطوا دعواه التي جاءهم بها، ويحققوا انتصارًا لباطلهم أمام حشود الناس والأتباع، فاستجاب موسى عليه السلام لما طُلِبَ منه، وفي المكان والزمان المحددان تواجه الجمعان وبدأ السجال بين الحق والباطل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[109].

فكان أثر الدليل الحسي الذي أيد الله به نبيه عليه السلام وعاينه السحرة المهرة، الذين جاء بهم فرعون لإثبات باطله، وبمجرد إلقاء موسى عليه السلام عصى الإعجاز والتأييد والتسديد الإلهي تحولت العصى إلى حية عظيم تلقف ما ألقاه أهل السحر والشعوذة والدجل مما استرهبوا به أعين الناس، أدرك السحرة حينها وتيقّنوا أن ما جاءهم به موسى عليه السلام ليس من جنس ما هم عليه من السحر والخداع، فتحولوا من الكفر إلى الإيمان، ومن المكابرة والتحدي إلى الخضوع والإذعان، وبعد أن كانوا في بداية يومهم سحرة أشقياء محاربين اللهَ ورسولَه، صاروا في آخر يومهم أتقياء شهداء مناصرين لله ورسوله؛ وهذا بيان لقوة تأثير الدليل الحسي المشاهد وما يورثه في النفوس السويّة من إقناع وإيمان ويقين؛ فكانت الاستجابة الفورية من سحرة فرعون بأن خروا أمام الجموع ساجدين لله ربِّ العالمين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾[110]. وأسقط الأمر في يد فرعون وانقلب السحر على الساحر كما قيل، فلجأ فرعون من المناظرة إلى المناورة ومن الحوار إلى التهديد بتقطيع الأيدي والأقدام والصلب على جذوع النخل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾[111].

([109]) سورة طه الآيات: (65-69).

([110]) سورة طه الآية: 70.

([111]) سورة طه الآية: 71.

ISSN : 2410-1818

وقول فرعون "إنه لكبيركم الذي علمكم السحر، يعني: أنكم تلامذته في السحر فاصطلحتم على أن تظهروا العجز من أنفسكم ترويجًا لأمره وتفخيمًا لشأنه، ثم بعد إيراد الشبهة اشتغل بالتهديد تنفيرًا لهم عن الإيمان وتنفيرًا لغيرهم عن الاقتداء بهم في ذلك" [112].

لكن ذلك لم يُجْدِ معهم بعد أن تجلت لهم الحقائق والبينات الحسية القطعية، واستقر الإيمان واليقين في قلوبهم بخالق البرية، فلم ينفع معهم التهديد ولا الوعيد، بل كانوا من الثبات والقوة في مجابهة فرعون وتحمل ما يصيبهم في سبيل الله، بعد أن اهتدوا إليه، مثلًا يحتذى به، وقدوة حسنة خلّد الله لنا ذكرها، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾[113].

ثالثًا: إيمان الغلام وجليس الملك وأصحاب الأخدود وثباتهم على الحق:

ورد في السنة النبوية الصحيحة عن صهيب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر، قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب،

([112]) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (22/ 76).

([113]) سورة طه الآيات: (72-73).

ISSN : 2410-1818

فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعا بالمئشار فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: "باسم الله رب الغلام"، ثم رماه فوقع السهم في صدغه[114]، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخدت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق " [115].

وهذه القصة ساقها أهل التفسير[116]. عند تأويل قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن

([114]) الصدغ هو: ما بين العين إلى شحمة الأذن. النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 17).

([115]) أخرجه مسلم (4/ 2299)، حديث رقم (3005).

([116]) **قال ابن جرير:** "كان أصحاب الأخدود قومًا مؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، وإن جبارًا من عَبَدَة الأوثان أرسل إليهم، فعرض عليهم الدخول في دينه، فأبوا، فخدّ أخدودًا، وأوقد فيه نارًا، ثم خيرهم بين الدخول في دينه، وبين إلقائهم في النار، فاختاروا إلقاءهم في النار، على الرجوع عن دينهم، فألقوا في النار، فنجَّى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار من الحريق، بأن قبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار" جامع البيان للطبري (24/ 339، 340). **وينظر:** تفسير مقاتل بن سليمان (4/ 643)، تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 730)، تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (31/ 109)، تفسير القرطبي (19/ 287).

ISSN : 2410-1818

يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [117].

ونجد في القصة من الثبات واليقين ما تحبس عنده الأنفاس، ثبات الراهب وجليس الملك عند وضع المناشير على مفرق رأس كل واحد منهما ليرجع عن دينه، فيأبى ذلك ويبذل روحه رخيصة في سبيل الله، وثبات الغلام المؤمن الذي أصابه من العذاب ما لا يُطَاقُ ولا يُحْتَمَلُ، وكانت خاتمة صبر الغلام على صغر سنه وعظم إيمانه، وكبير عزمه وهمته، أن أصيب الملك الظالم بهزيمة نفسية جعلته يأمر جنوده بالبطش بهذا الغلام، والإفراط في التنكيل به، تردية من أعالي الجبال، فيسلمه الله وينجيه، ثم إغرقًا في أوساط البحار، فيسلمه الله وينجيه، وما ذلك الثبات المنقطع النظير إلّا بعد أن تجلت لهم الآيات والبينات والدلائل الحسية: كإبراء الغلام للأكمه والأبرص ومداواة الناس من الأدواء بإذن الله وتأييده، والدابة التي أزاحها الغلام من طريق الناس بحجر صغير دعا ربه فاستجاب له، وهلاك جنود الظالم من شواهق الجبال المرتفعة وفي لجج البحار العميقة، ونجاة الغلام المؤمن مما أحاقوا به من مكر وسوء، استعان عليهم بالله تعالى وتوكله عليه فكفاه مولاه فأهلكهم وأنجاه، كل ذلك رأي عين للملك الظالم وحاشيته والمقربين منه، ولمن شهد ذلك من الناس، ولعل الجمهور والعامة لم يبلغهم الأمر بوضوح كامل فهيأ الله من البينة والبرهان ما كان سببًا لدخولهم في دين الله أفواجًا، وعرضوا على النار العظيمة ذات الوقود الملتهب الذي يخطف الطير من جوف السماء، فلم يزدهم خد الأخاديد والرمي في النار إلّا ثباتًا وإيمانًا، وذلك بعد تجلي بينات الغلام المؤمن الذي رسم للملك خطة موته، ودلّه على السبيل الوحيد لتسلطه عليه بالقتل؛ إن هو عمل بقوله ودلالته وإرشاده، فلن يفلح في قتله حتى يأخذ سهمًا من كنانته ويستعين على قتله بربه الذي حماه ودافع عنه وأنجاه، لا بقوته ولا بجنده وقد حاول وفشل وكرر المحاولة وتكرر الفشل، فلا سبيل إلّا بإذن الله وأمره، وبقوله: "باسم الله رب الغلام أقتل"، وأمام مشهد الجميع، كان ما كان من الإيمان والثبات عليه، وزاد الأمر ثباتًا لأم تتردد في الإفصاح عن الإيمان إشفاقًا على صبيها الذي ينطقه الله في المهد: "أن اصبري يا أماه فإنك على الحق"، فتودع نفسها وولدها النار ثقة وتصديقًا، هذه المواقف العملية التي حدثت لم تكن حصيلة فراغ، بل حصيلة دلائل إيمانية وبراهين ربانية قاهرة ظاهرة.

([117]) سورة البروج الآيات: (4-10).

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: أثر الأدلة الحسية على إيمان و يقين الأنبياء والمؤمنين.

الفرع الأول: أثر الأدلة الحسية على إيمان و يقين الأنبياء عليهم السلام.

كان للأدلة الحسية أبلغ الأثر وأعظمه على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن ذلك:

أولًا: طلب العلم بالله يقينًا عن طريق الرؤية والاستدلال عليه بالأدلة الحسية المشهودة.

فمن أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الإيمان له أصل واجب وشعب متفاوتة، يزيد بالطاعات والتأمل في الملكوت، وينقص بالمعاصي والإعراض عن التفكر والتدبر في الآيات، وإيمان الأنبياء والرسل لا يدانيه إيمان، وثقتهم بالله تعالى لا يماثلها ثقة، وذلك لكمال علمهم به سبحانه، وكمال عبوديتهم له، وخشيتهم إياه، وكل من ارتقى في مدارج العبودية قربًا وتنسكًا وحبًا وتعبدًا كان منهم أقرب وإلى طريقتهم ومنهجهم أصوب، ونبي الله إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ما وصل إلى هذه المنزلة الرفيعة والمكانة العليّة - وهي الخلّة - إلّا بإيمان كامل ويقين تام، كيف لا وقد تجلّت آيات الله تعالى نصب عينيه، وأشرقت أدلة وبراهين الإيمان في قلبه، بعد رحلة من التفكر والتدبر ملأت كيانه بنور اليقين، وكانت الرؤية البصرية هي السبيل وبها الدليل[118]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾[119].

فبالمشاهدة والرؤية البصرية التي جال بها في ملكوت الله تعالى وصل إلى اليقين بوجود الله تعالى، فتبرأ من شرك المشركين، وتوجه مخلصًا بالتوحيد لله رب العالمين.

([118]) وفي معاني القرآن للأخفش قال: "فلم يكن ذلك شـــكا منه ولم يُرِد به رؤية القلب وانما أراد به رؤية العين" (1/ 198).

([119]) سورة الأنعام الآيات: ٧٥ – ٧٩.

ISSN : 2410-1818

ثانيًا: العلم بصفات الله وكمال قدرته وعزته وحكمته؛ بالسؤال عن كيفية الإحياء للموتى.

لا يزال إبراهيم عليه السلام يطلب الارتقاء والزيادة في الإيمان واليقين، فيسأل من ربه سبحانه وتعالى أن يريه كيف يحي الموتى؟! وهذا دليل حسي ملموس ينتقل به الخليل عليه السلام من علم اليقين إلى عين اليقين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾[120].

قال ابن عاشور: "فإن إبراهيم لفرط محبته الوصول إلى مرتبة المعاينة في دليل البعث رام الانتقال من العلم النظري البرهاني، إلى العلم الضروري، فسأل الله أن يريه إحياء الموتى بالمحسوس"[121]. فأجابه المولى عز وجل وأعطاه ما سأل، وكانت التجربة العملية التي وصل بها إلى علم يقيني قطعي ضروري. وقد أثار العلماء تساؤلات عن باعث إبراهيم عليه السلام لسؤال ما سأل، فذكروا أسبابًا منها:

1. إنه بتوارد الأدلة اليقينية ما يزداد به الإيمان ويكمل به الإيقان، ويسعى في نيله أولو العرفان[122].
2. إنه قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى، ولكنه أحب أن يشاهده عيانًا ليترقى من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين وفيها استقرار القلب وطمأنيته وحصول السكينة له[123].

وقال الشوكاني: "وقد ذهب الجمهور إلى أن إبراهيم لم يكن شاكًا في إحياء الموتى قط، وإنما طلب المعاينة لِمَا جُبِلَتْ عليه النفوس البشرية من حب رؤية ما أخبرت عنه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس الخبر كالمعاينة" [124]"[125]."فإن موسى لما أخبره ربه أن قومه عبدوا العجل، لم يُلْقِ الألواح، فلما رآهم قد عبدوه ألقاها؛ وليس ذلك لشك موسى في خبر الله، لكن المخْبَر وإن جزم بصدق المخبِر، فقد لا يتصور المخْبَر به في نفسه، كما يتصوره إذا عاينه، بل يكون قلبه مشغولًا عن تصور

([120]) سورة البقرة الآية: ٢٦٠.

([121]) التحرير والتنوير (3/ 38).

([122]) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: 112).

([123]) ينظر: تفسير ابن كثير (1/ 689).

([124]) ونص الحديث عن ابن عباس قال: قالِ رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ليس الخَبَرُ كَالمعاينة، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنَع قومُه في العجل، فلم يُلْقِ الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت"، مسند أحمد (4/ 260) حديث رقم (2447)، وقال محققوه: حديث صحيح، صحيح ابن حبان، (14/ 96)، حديث رقم (6213)، وقال محققه: حديث صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 948)، حديث رقم (5374).

([125]) فتح القدير للشوكاني (1/ 323).

ISSN : 2410-1818

المخْبَرِ به، وإن كان مصدقًا به، ومعلوم أنه عند المعاينة يحصل له من تصور المخبَرِ به ما لم يكن عند الخبر، فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق" [126].

وفي هذا أعظم دلالة حسية على قدرة الله تعالى، وإحيائه الموتى، وعلى البعث والنشور بعد حياة البرزخ والقبور، ثم الجزاء والحساب على السعي والاكتساب، وهو من أركان الإيمان العظيمة التي جاءت بها الرسل ونزلت بها الكتب، وكثر فيها التكذيب والجحود، وجاء القرآن الكريم ببراهين محسوسة وبينات ملموسة تدل على البعث الأخروي، وتقربه من العقول والأذهان التي تراه بعيدًا، في مواضع كثيرة يطول شرحها وإيضاح دلالاتها تفصيلًا، ويكفي الإشارة إلى بعضها والتعريج عليها سردًا، وفي ذلك ما يغني عن التفصيل:

ففي قصة المار على القرية الخاوية على عروشها، وتساؤله عن كيفية إحياء الله لها بعد موتها وكأنه يستبعد ذلك ولا يتصوره؟! [127].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [128].

قال ابن تيمية: "فقص (الله) هذه القصة التي فيها موت البشر مائة عام، وموت حماره ومعه طعامه وشرابه، ثم إحياء هذا الميت، وإحياء حماره، وبقاء طعامه وشرابه لم يتغير ولم يفسد، وهو في دار الكون والفساد التي لا يبقى فيها في العادة طعام وشراب بدون التغير بعض هذه المدة، وهذا يبين قدرته

([126]) الإيمان لابن تيمية (ص: 185).

([127]) قيل هو عزير، وقيل أرميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب، وقيل من سبط هارون بن عمران كان في أيام آخر ملوك بني إسرائيل" صدقيا" روي أنه هو الذي نزل بشأنه الآيات. ينظر: جامع البيان للطبري (5/ 339، 340)، تفسير ابن كثير (1/ 687)، ورد السعدي هذه الأقوال ورجح أنه رجل شاك بالبعث مستبعد حصوله، تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: 955).

([128]) سورة البقرة: 259.

ISSN : 2410-1818

على إحياء الآدميين والبهائم، وإبقاء الأطعمة والأشربة لأهل الجنة في دار الحيوان بأعظم الدلالات" [129].

وقوله تعالى: ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾، أي: فعلنا ما فعلنا من إحيائك وإحياء حمارك، وحفظ ما معك من الطعام والشراب، لنزيل تعجبك، ونريك آياتنا في نفسك وطعامك وشرابك، ولنجعلك آية للناس.

أما كونه آية له فواضح، وأما كونه آية للناس فلأن علمهم بموته مائة عام ثم بحياته بعد ذلك ورجوعه إلى أبنائه وأحفاده؛ يكون من أكبر الآيات التي يهتدي بها من يشاهدها، إلى كمال قدرة الله وعظيم سلطانه.

"وبعد أن أراه الآية التي تكون حجة على من رآها في قوله: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ ﴾، نبهه إلى الدليل الذي يحتج به على إمكان البعث في كل مكان وزمان، وهو سنته تعالى في تكوين الحيوان وإنشاء لحمه وعظمه فقال: ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾، أي: إن القادر على أن يكسو هذه العظام المبعثرة المتناثرة، البالية النخرة، لحمًا بعد أن يجمعها فيمدها بالحياة ويجعلها أصلا لجسم حي- قادرٌ على أن يعيد الخصب والعمران للقرية، وكذلك القادر على الإحياء بعد لبث مائة سنة قادر على الإحياء بعد لبث الموتى آلاف السنين، فبعض أفعاله تعالى يشبه بعضا. ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: فلما ظهر له واستبان بدلالة الحس والمشاهدة كل ذلك قال: أعلم علمًا يقينيّا مؤيدًا بآيات الله في نفسي وفي الآفاق، أن الله على كل شيء من الأشياء التي من جملتها ما شاهدته، قدير لا يستعصى عليه أمر" [130].

قال السعدي: "هذان دليلان عظيمان، محسوسان في الدنيا قبل الآخرة، على البعث والجزاء، واحد أجراه الله على يد رجل شاك في البعث على الصحيح، كما تدل عليه الآية الكريمة، والآخر على يد خليله إبراهيم" [131].

وفي قتيل بني إسرائيل الذي حكى الله تعالى قصته، وتماروا في معرفة القاتل واختصموا دون جدوى، فأمرهم الله تعالى على لسان نبيه أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها؛ ليستبين لهم القاتل، فلم يبادروا

([129]) درء تعارض العقل والنقل . موافق للمطبوع (7/ 376).

([130]) ينظر: تفسير المراغي (3/ 24، 25).

([131]) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: 955).

ISSN : 2410-1818

للطاعة والامتثال كالعادة، بل تطاولوا على نبيهم عليه السلام، واتهموه بما لا يليق به في مقام النبوة والحكم في الخصام من السخرية بهم والإغراب في الطلب، وبعد تعنتهم في الأسئلة أغلظ الله عليهم في الجواب وشدد في الأوصاف، ثم حذرهم موسى من التمادي وأمرهم بسرعة الامتثال لكي لا يحل بهم العقاب؛ وبعد ذبح البقرة وضرب عظام القتيل ببعضها، حصل ما كانوا يستبعدون، فدبت فيه الحياة ونطق باسم قاتله ثم مات، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [132].

فأراهم الله تعالى من الآيات البينات ما لا يحتمل شكًا ولا ريبة ولا يدخله الجدل، وذلك بإحياء القتيل وما اشتمل عليه من الأمور البديعة من ترتب الحياة على الضرب بعضو ميت، وإخبار الميت بقاتله، مما ترتب عليه الفصل في الخصومة وإزالة أسباب الفتن والعداوة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي لعلكم تفقهون أسرار الشريعة وفائدة الخضوع لها، وتمنعون أنفسكم من اتباع أهوائها، وتطيعون الله فيما يأمركم به" [133].

وفي الجموع الغفيرة من بني إسرائيل [134]، والتي خرجت من ديارها تحاذر الموت، خوف وباء داهمهم كالطاعون ونحوه، أو عدو قادم يريدهم كلّفوا بجهاده ومدافعته فجبنوا عن ذلك، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [135].

خرجوا بهذه الكثرة، فرارًا من الموت، فلم ينجهم الفرار، ولا أغنى عنهم من قدر الله شيئًا فوقع بهم ما كانوا يحذرون، وعاملهم الله بنقيض قصدهم لضعف إيمانهم واتكالهم على الأسباب دون نظر لمسبّبها، فأماتهم الله عن آخرهم، ثم تفضل عليهم بالإحياء إما بدعوة نبي، كما قاله كثير من المفسرين، وإما بغير ذلك مما يعود لفضله وعظيم حكمته؛ ليشهدوا في أنفسهم برهانًا حسيًا ناطقًا أن الله وحده الرب المتصرف في خلقه.

([132]) سورة البقرة الآيات: ٧٢-73.

([133]) ينظر: تفسير المراغي (1/ 145).

([134]) على الغالب من أقوال أهل العلم.

([135]) سورة البقرة: ٢٤٣.

ISSN : 2410-1818

قال السعدي: "وفي هذه القصة عبرة بأنه على كل شيء قدير، وذلك آية محسوسة على البعث، فإن هذه القصة معروفة منقولة نقلًا متواترًا عند بني إسرائيل ومن اتصل بهم، ولهذا أتى بها تعالى، بأسلوب الأمر الذي قد تقرر عند المخاطبين" [136].

وفي قصة أهل الكهف وما أصابهم في رحلة الفرار بالدين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝١٢ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣ ﴾ [137].

قال ابن كثير: " ذكر غير واحد من السلف أنه قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة، وقال عكرمة: كان منهم طائفة قد قالوا: تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فبعث الله أهل الكهف حجةً ودلالةً وآيةً على ذلك " [138].

وكان من حِكَمِ الله تعالى في بعث أصحاب الكهف بعد رقودهم الطويل الذي جاوز ثلاثمائة سنة، "إعلام الناس أن البعث حق، وأن الساعة حق لدلالة قصة أصحاب الكهف على ذلك" [139].

فهذه الوقائع كلها في إحياء الله للموتى في الدنيا كانت مرئية رأي العين، مسموعة مشهودة أجراها الله تعالى؛ لإثبات البعث الحسي المشاهد في الحياة الدنيا؛ ليكون دليلاً على البعث في يوم القيامة، فلا تستبعده العقول وقد شهدت له نظير ومثيل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ [140].

([136]) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: 951).

([137]) سورة الكهف الآيات: 9-13.

([138]) تفسير ابن كثير (5/ 146).

([139]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (3/ 209).

([140]) سورة الكهف من الآية: ٢١.

ISSN : 2410-1818

قال شيخ الإسلام: " فإنه سبحانه دل على إمكان إحياء الموتى وقدرته على ذلك بطريق الوجود والعيان، وبطريق الاعتبار والبرهان، **والأول أعظم الطريقين**؛ فلا شيء أدل على إمكان الشيء من وجوده، فذكر في كتابه ما أحياه من الموتى في غير موضع" [141].

ثالثاً: تجديد توبة الأنبياء عند سؤال ما ليس لهم معرفته، وزيادة إيمانهم و تسليمُهم.

ويتجلى ذلك من قصة موسى عليه السلام، عندما ذهب لملاقة ربه عند جبل الطور: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ ﴾ [142].

ففي مقام التكريم بالتكليم، يشتاق الكليم عليه السلام لرؤية ربه بعد سماع كلامه[143]، فيطلب عليه السلام رؤية ربه طمعًا منه في المعاينة البصرية التي ستزيد من يقينه وإيمانه وتجعله في مقام عليّ لا يبلغه غيره، بعد أن منّ الله عليه وأنعم بالكلام، فلم ينهاه الله عن طلبه، بل أبان له عدم قدرته رؤيته سبحانه لو تجلى له بنور وجهه الذي أشرقت له السموات والأرض، وذلك لضعفه البشري عن تحمل جلال وعظمة آثار تجليه سبحانه، وضرب لنبيه مثالًا بما هو أقوى من بنيته وأثبت وهو الجبل الصلب الأشم شديد الخلقة؛ الذي سيتجلى الرب ببعض أنواره عليه، فإن استقر الجبل مكانه وثبت فؤادك عند رؤية ما قد حل به من آثار ذلك التجلي، عندها سوف ترى الرب سبحانه، "وإن لم يسكن فإنك لا تطيق رؤيتي، كما أن الجبل لا يطيق آثار التجلي" [144].

قال ابن عاشور: "ولا نشك في أنه سأل رؤية تليق بذات الله تعالى، وهي مثل الرؤية الموعود بها في الآخرة، فكان موسى عليه السلام يحسب أن مثلها ممكن في الدنيا، حتى أعلمه الله بأن ذلك غير واقع في الدنيا، ولا يمتنع على نبي عدم العلم بتفاصيل الشؤون الإلهية قبل أن يعلّمها الله إياه" [145].

([141]) درء تعارض العقل والنقل . موافق للمطبوع (7/ 375).

([142]) سورة الأعراف الآية: 143.

([143]) قال القرطبي: "سأل النظر إليه، واشتاق إلى رؤيته لما أسمعه كلامه" تفسير القرطبي (7/ 278)، وقال الشوكاني: "أرني نفسك ينظر إليك أي: سأله النظر إليه اشتياقا إلى رؤيته لما أسمعه كلامه. " فتح القدير (2/ 276).

([144])ينظر: تفسير القرطبي (7/ 278).

([145]) التحرير والتنوير (9/ 91).

ISSN : 2410-1818

"وسؤال موسى للرؤية يدل على أنها جائزة عنده بالجملة، ولو كانت مستحيلة عنده لما سألها" [146]. فإن الله سبحانه لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالاً لأنكره عليه [147]؛ كما أنكر الله تعالى على خليليه إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة و السلام الاستغفار وسؤال الشفاعة للأب والعم الكافرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤ ﴾ [148].

وكما أنكر على نوح عليه السلام طلبه النجاة لولده وهو على الكفر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ ﴾ [149].

فقد وصل عليه السلام بعد الدليل الحسي الملموس إلى التصديق والإيمان في أمر الرؤية البصرية لربه سبحانه وتعالى؛ على وجه الاختصاص والاجتباء في هذه الدنيا، كما حصل له من التكليم مباشرة بلا واسطة، فقال عليه الصلاة والسلام بعد الصعقة والإفاقة وإعلان التوبة: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ ﴾ [150]. يعنى أول المصدقين الموقنين بأنه لا يقدر ولا يطيق أحد من البشر رؤيتك فى هذه الدنيا، وأنه لا ينبغي لأحد سؤال الرؤية في الدنيا بعد هذا البيان.

وفي توبته عليه السلام "ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه تاب من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها. والثاني: أنه تاب من اعتقاده جواز رؤيته في الدنيا. والثالث: أنه قال ذلك على جهة التسبيح وعادة المؤمنين عند ظهور الآيات. الدالة على عظيم قدرته" [151].

([146]) فتح القدير للشوكاني (2/ 276).

([147]) "وكذلك لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحى الموتى لم ينكر عليه، ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله. ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله" كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها (ص: 940، بترقيم الشاملة آليا).

([148]) سورة التوبة الآيات: (113، 114).

([149]) سورة هود من الآية: 46.

([150]) سورة الأعراف من الآية: 143.

([151]) تفسير الماوردي = النكت والعيون (2/ 259).

ISSN : 2410-1818

الفرع الثاني: أثر الأدلة الحسية على إيمان ويقين المؤمنين.

أولًا: الكرامة من الله لأوليائه بدليل حسي تطمئنن به قلوبهم ويزداد إيمانهم:

قد يصيب المؤمنين من البلاء والشدة ما يجعلهم بحاجة لتأييد الله لهم وتثبيت قلوبهم بالآيات والدلائل المحسوسة الظاهرة، التي ينتفي معها الشعور بالفتور أو الضعف البشري المعهود، فيطلبها المؤمنون لا لشك ولا ريبة ولكن زيادة برهان يثبت به الإيمان، فيستجيب الله لهم لحاجتهم إليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [152].

وقول الحوارين وهم خاصة عيسى عليه السلام وصفوة أتباعه الكرام، ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾، يحتمل أن يكون سؤال متعلم متأدب غير شاك في القدرة الإلهية، وإنما يطلب به دليلًا ماديًا محسوسًا ليرتقي في مدارج الإيمان رتبة عليّة، أو يكون سؤالهم سؤال تعنت في طلب الآيات، وتعجيز في الاقتراحات ينافي العبودية والتسليم والانقياد للحق، وربما أوهم هذا الكلام الصادر من الحواريين شيئًا من ذلك، فوعظهم عيسى عليه السلام فقال: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، فالإيمان يحمل على ملازمة التقوى، والانقياد لأمر الله، والتأدب معه.

"فأخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهم هذا المعنى، وإنما لهم مقاصد صالحة، ولأجل الحاجة إلى ذلك فـ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ وهذا دليل على أنهم محتاجون لها، ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾، بالإيمان بمشاهدة هذه المعجزة فإن الدليل الحسي أظهر في النفس، فحين نرى الآيات العيانية، يكون الإيمان عين اليقين، كما كان قبل ذلك علم اليقين. وكما سأل الخليل عليه الصلاة والسلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [153]، فالعبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كل وقت، ولهذا قالوا: ﴿ وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ أي: نعلم صدق ما جئت به، أنه حق وصدق، علم ضرورة لا علم استدلال؛ فيحصل

([152]) سورة المائدة الآيات: ١١٢، 113.

([153]) سورة البقرة من الآية: ٢٦٠.

ISSN : 2410-1818

لنا العلمان، ﴿وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ على رؤية المعجزة فنبلغها من لم يشهدها، فتكون مصلحة لمن بعدنا، فتقوم الحجة، ويحصل زيادة البرهان بذلك[154].

قال الطاهر بن عاشور: "قوله تعالى: هل يستطيع يدل على التلطف والتأدب في السؤال، كما هو مناسب لأهل الإيمان الخالص، ليس شكا في قدرة الله تعالى، ولكنهم سألوا آية لزيادة اطمئنان قلوبهم بالإيمان[155]، بأن ينتقلوا من الدليل العقلي إلى الدليل المحسوس؛ فإن النفوس بالمحسوس آنس، كما لم يكن سؤال إبراهيم بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾[156]، شكا في الحال" [157].

ولما أدرك عيسى عليه السلام صدقهم في سؤال المائدة، وحاجتهم لها حسيًا ومعنويًا، ولأثر ذلك عليهم في الطمأنينة ونزول السكينة، وزيادة الإيمان وثباتهم على الحق، بادر عليه السلام بسؤال ربه ودعائه المائدة النازلة من السماء رأي العين لتكون عيدًا لهم يذكرون فيه نعمة الله تعالى عليهم فيحمدوه ويعبدوه ويصلون له شكرًا، كما يفعل المؤمنون في سائر أعيادهم، ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤﴾ [158].

وكان مما قصده عيسى عليه السلام من الاستجابة لطلب الحواريين في دعاء ربه أن تكون المائدة النازلة آية من الله تعالى، وعلامةً وحجة على العباد في وحدانية الله، وفي صدقه عليه السلام فيما أرسله به الله، **قال الماوردي**: " يعني علامة الإعجاز الدالة على توحيدك وقيل التي تدل على صدق أنبيائك"

([154]) ينظر: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: 248).

([155]) مما يرجح عدم شكهم ما ورد من الآيات في وصفهم:
﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾سورة المائدة الآية: 111.

وقال تعالى:﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَى مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢﴾، سورة آل عمران الآية: 52.

([156]) سورة البقرة من الآية: ٢٦٠.

([157]) التحرير والتنوير (7/ 105).

([158]) سورة المائدة الآية: 114.

ISSN : 2410-1818

[159]. فوعدهم الله بالاستجابة وتوعدهم على التكذيب والجحود بعد نزول المائدة المطلوبة: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [160].

فعلق الله تعالى تنزيل هذا الآية بشرط الإيمان وعدم الكفران، وإلّا حل بهم وعيده بالعذاب الذي لم يشهده أحد من العالمين وذلك؛ "لأنه شاهد الآية الباهرة وكفر عنادًا وظلمًا، فاستحق العذاب الأليم والعقاب الشديد. واعلم أن الله تعالى وعد أنه سينزلها، وتوعدهم -إن كفروا- بهذا الوعيد، ولم يذكر أنه أنزلها، فيحتمل أنه لم ينزلها بسبب أنهم لم يختاروا ذلك، ويدل على ذلك، أنه لم يذكر في الإنجيل الذي بأيدي النصارى، ولا له وجود. ويحتمل أنها نزلت كما وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، ويكون عدم ذكرها في الأناجيل التي بأيديهم من الحظ الذي ذكروا به فنسوه. أو أنه لم يذكر في الإنجيل أصلًا وإنما ذلك كان متوارثًا بينهم، ينقله الخلف عن السلف، فاكتفى الله بذلك عن ذكره في الإنجيل، ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿وَكُونُوا عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ والله أعلم بحقيقة الحال" [161].

ثانيًا: إثبات الرسالة و التصديق بالرسول فيما أخبر به من الغيبيات، والفرح بتحقق ذلك:

من الأدلة الحسية التي أيد الله بها نبيه وأثبت بها صدق ما جاء به، الإخبار عن المغيبات وكان منها ما وقع في حياته، ومنها ما سيقع بعد مماته، وهي آية حسية وبينة ظاهرة تدل على نبوته وترشد إلى صدق رسالته، وبها ثبات الأتباع وهداية المخالفين الباحثين عن الحق لا الجاحدين المعاندين. ومن ذلك نعيه للنجاشي يوم موته وصلاته عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه خرج إلى المصلى، فصف بهم وكبر أربعا" [162].

قال النووي: "وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لإعلامه بموت النجاشي وهو في الحبشة في اليوم الذي مات فيه" [163].

فهو يخبر عن أمور لا يقدر البشر على الإحاطة بها علمًا وإدراكًا؛ بل الله هو الذي يوحي إليه بذلك، وهذا النوع من المعجزات من الكثرة في الكتاب والسنة الصحيحة، فيكتفى بالإشارة إلى مثال

([159]) تفسير الماوردي = النكت والعيون (2/ 84).

([160]) سورة المائدة الآية: ١١٥.

([161]) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: 249).

([162]) صحيح البخاري (2/ 72)، حديث 1245.

([163]) شرح النووي على مسلم (7/ 21).

ISSN : 2410-1818

من السنة، ومثال آخر من القرآن الكريم تصدرت به الآيات في سورة الروم، والتي أفرحت المؤمنين بعد حزن ألمّ بهم، من هزيمة الروم وانتصار الفرس، وفرح المشركين وغبطتهم وتندرهم بالمؤمنين، فأهل الوثنية غلبوا أهل الكتاب، فأصاب الحزن قلوب الصحابة الكرام، وبثوا حزنهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى بأن الأحوال ستتبدل بعد حين، وينتصر الروم ويهزم الفرس، فخف عنهم ما أصابهم من حزن وضيق، وسمع الكفار هذه الآيات، التي تحكي خبرًا غيبيًا لأمر لم يقع بعد، وسيحصل بعد حين من الزمن ليس بالبعيد، يشهده الجميع، وهو انتصار الروم وهزيمة الفرس في بضع سنين لا تتجاوز العشر، وهو خبر يجعل دعوة هذا النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم على المحك الصعب؛ بل ربما تخلف الوعد ولم يصدق الخبر فيجدون بغيتهم في تكذيبه فيما أخبر به، قَالَ تَعَالَى:﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ ﴾[164].

وهذا خبر ووعد إلهي لا يتخلف، أنبأ به النبي صلى الله عليه وسلم، وصدق به الصديق والصحابة معه، وكذب به كفار قريش، وكانت ساحته بعيده عن الجزيرة العربية هناك في أرض الشام، وأطراف الصراع فيه الفرس والروم وسجال الحرب بالسيف والسنان، وفي مكة حصل السجال بالرهان بين معسكر الكفر وأهل الإيمان، ذهب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتلقى منه الخبر مصدقًا فأخبر به وحدّث في أرجاء مكة، فكذب الكفار كعادتهم وطلبوا الرهان على ذلك، فحث النبي صلى الله عليه وسلم الصديق أن يزيد فيه لأنه سيكسبه قطعًا، وبات الجميع يعرف أمر الرهان، وينتظر الوقت المعلوم الذي بيّنه القرآن وأخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم وحيًا عن ربه، وأنه لا يتجاوز التسع سنوات، وراهن فيه الصديق، وصدّق به أهل الإيمان، وكان من الأمر ما كان كما أخبر به القرآن، فزاد الله المؤمنين ثباتًا وأورث قلوبهم فرحًا [165].

([164]) سورة الروم الآيات: 1- 6.

([165]) وفي الحديث " عن ابن عباس، في قوله: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ ﴾ سورة الروم الآية: (1، 2). قال: غلبت وغلبت، قال: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، لأنهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أما إنهم سيغلبون " قال: فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلا، فإن ظهرنا، كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم، كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلا خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه

ISSN : 2410-1818

ومن أعظم الأدلة الحسية التي أيد الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم، وثبّت بها المؤمنين وملاء قلوبهم يقينًا، حادثة انشقاق القمر في العهد المكي، وقد بوّب لها البخاري في صحيحه "باب انشقاق القمر"، وروى حديثًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما" [166].

وعن ابن مسعود، قال:" انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اشهدوا" [167].

قال ابن عبد البر: " قد روى هذا الحديث جماعة كثيرة من الصحابة، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن انتهى إلينا، ويؤيد ذلك بالآية الكريمة فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر" [168].

وقال الخطابي: "انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجًا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر" [169].

ثالثًا: تثبيت أقدام المؤمنين والربط على قلوبهم وزيادة إيمانهم.

ومن الآيات المحسوسة ما يبتدر الله بها أهل الإيمان دون طلب منهم لذلك، وهو ما شهده الصحابة الكرام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في سائر الآيات الحسية المشهودة لهم رأي العين في مواضع كثيرة يضيق بها المقام، وقد أفرد العلماء فيها التأليف، وأكتفي بذكر ما يلزم ذكره للدلالة على المقصود:

وسلم، فقال: " ألا جعلتها إلى دون، قال: أراه قال: العشر؟ " – قال: قال سعيد بن جبير: البضع: ما دون العشر – ثم ظهرت الروم بعد، قال: فذلك قوله: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [سورة الروم الآية:1، 2] إلى قوله: ﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [سورة الروم من الآية:4] قال: يفرحون ﴿ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الروم من الآية: 5]" مسند أحمد ط الرسالة (4/ 296)، حديث رقم (2495)، وقال محققوا المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

([166]) صحيح البخاري (5/ 49)، حديث رقم 3868.

([167]) صحيح البخاري (6/ 142)، حديث رقم 4864، وبنحوه عند مسلم في صحيحه (4/ 2158)، حديث رقم 2800.

([168]) فتح الباري لابن حجر (7/ 186).

([169]) فتح الباري لابن حجر (7/ 185).

ISSN : 2410-1818

ففي يوم الأحزاب وما أدراك ما يوم الأحزاب؟! يوم مشهود عَظُمَ فيه الكرب، واشتد الخَطْب على النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة - الكرام رضوان الله تعالى عليهم -، في المدينة المنورة التي تكالب عليها الأعداء وتقاطروا من كل مكان، أجلبوا بخيلهم ورجلهم، يحاصرونها ويضيقون الخناق على من فيها، وذلك للخلاص من النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه الذين يمثلون خطرًا وجوديًا على المشركين وآلهتهم والكفار وأوثانهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾[170].

وفي أجواء الحصار ومقدمات الحرب الضروس، وما حكاه القرآن من الحالة النفسية التي سادت الصحابة الكرام، كانت البقعة الجغرافية المحدودة بالمكان والزمان تضم أربع فئات من الناس في موقع الحدث، وعليهم جميعًا ستتنزل الآيات الحسية الواضحة:

الفئة الأولى: الأحزاب بقيادة قريش وهي الفئة المهاجمة الأكثر حظا لحسم المعركة والانتصار في الحرب وفق الأسباب المادية التي بذلها المشركون وأحزابهم، وما رسموه من خطة حرب، لكن الله خيب آمالهم، ونكس راياتهم، فسلط عليهم ريحًا باردة أطفأت نيرانهم، وكفأت قدورهم، وقلعت خيامهم، وأنزل عليهم جنودًا لم يروها، وإنما لمسوا أثرها، في قلوبهم رعبًا، وفي صفوفهم خوفًا وذعرًا، وفي دوابهم وخيولهم وإبلهم نفورًا واستيحاشًا، فتفرقت الجموع وتشتت الصفوف وعادوا أدراجهم خائبين خاسرين، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين المستضعفين المحاصرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥ ﴾[171]. وكانت كفاية الله لهم بالريح العاصف والجنود التي لم يروها ولمسوا أثر فعلها فيهم من الملائكة المنزلين، والرعب الذي خلع قلوب المشركين، فأخزى الله الأحزاب وردهم على أعاقبهم خاسرين، عادوا بلا مال ولا أسير ولا نصر كانوا يطمعون فيه ويرجونه.

الفئة الثانية: فئة من اليهود في داخل المدينة، وهم بنو قريظة نقضوا عهدهم وتحالفوا مع الأحزاب للغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم، والمكر بمن معه، والقيام بأعمال الخيانة عندما تحين الساعة لذلك، فكبتهم الله وأخزاهم بكفرهم، وجاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبلغه أمر الله له أن يأتيهم غازيًا؛ ليطهر المدينة من رجسهم، فيحاصون ويرفضون النزول على حكم رسول الله صلى الله عليه

([170]) سورة الأحزاب الآيات: 10، 11.

([171]) سورة الأحزاب الآية: 25.

ISSN : 2410-1818

وسلم، ويختارون النزول على حكم حليفهم في الجاهلية سعد بن معاذ، لعلهم يجدون عنده لينا في الجانب أو ميلًا إليهم، فيحكم فيهم سعد بأن تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم، فيكبر النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: "لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة"، فينزلهم من حصونهم، ويحكم فيهم بحكم الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾[172].

وفئة ثالثة من المنافقين: يحكي القرآن بعضًا مما فعلوه وقالوه من مواقف الإشاعة والإرجاف والمسارعة في الكفر، والمظاهرة على المؤمنين، فكشف عوارهم وهتك أستارهم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾[173].

والفئة الرابعة: هم النبي العظيم والصحب الكرام، المستهدفون من الفئات الثلاث؛ فالكل يرصدهم ويتربص بهم الدوائر، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾[174].

([172]) سورة الأحزاب الآيات: 26، 27.

([173]) سورة الأحزاب الآيات: 12-20.

([174]) سورة الأحزاب الآية: 9.

ISSN : 2410-1818

في هذه الأجواء نزلت الآيات البينات، تحمل الدلالة الحسية والبرهان القطعي المشهود، الذي يملاء قلوب المؤمنين إيمانًا ويقينًا، ويزيدهم على الحق ثباتًا، بنزول الملائكة وهبوب الريح، فامتن الله عليهم بما أيدهم به من البينة الحسية، وأظهرهم على عدوهم بالآيات التي شهدها الكفار واليهود، والمنافقون والمؤمنون على السواء، وسجل القرآن فيها آيات تتلى إلى قيام الساعة، ذكرت ما حل بالكفار من هزيمة ونكال، وما حل بالمنافقين من خزي وبيهود بني قريظة من وبال، وما أنعم الله به على أوليائه من نصر وتثبيت للأقدام، وما أورثهم من عز وإيمان وطمأنينة بال، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾[175].

كل ذلك يحكيه القرآن دون جحود ولا إنكار ولا تكذيب، لأنه من القطعية والثبوت بمحل لا يمكن دفعه، وأثره كان باديًا للعيان إذ لو لم تقع هذه الآيات لارتد المؤمنون وازدادوا شكًا وريبة، ولثبت أهل الكفر على كفرهم وعنادهم، ولارتفعت أصوات النفاق مدوية في أرجاء المدينة المنورة، تحكي كذب النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه في القرآن الكريم، وذلك كله لم يقع من الكفار ولا اليهود ولا المنافقين، بل العكس هو الذي كان وحصل إذ زاد أهل الإيمان طمأنينة وسكينة، وتناقص أهل الشرك والطغيان، وتحول كثير منهم إلى الإسلام في صلح الحديبية وفتح مكة وما بعده، وتبدلوا من كفرٍ وعنادٍ إلى إيمان وانقياد.

وقد كان التأييد بنزول الملائكة؛ للاشتراك بالقتال مع المؤمنين، وحسم المعركة لصالحهم- وهم أذلة، وفي ضعف وقلة-؛ من أبرز الأدلة الحسية التي أيد الله بها جنده في مواطن كثيرة، منها غزوة بدر الكبرى الفارقة بين الحق والباطل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[176]. وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ

([175]) سورة الأحزاب الآية: 22.

([176]) سورة آل عمران الآيات: 123- 127.

ISSN : 2410-1818

يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾[177].

فذكرت الآيات المقاصد الحسان من نزول الملائكة الكرام، فمع النصرة للمؤمنين بالتأييد والإمداد، كانت البشرى في وقت الضيق والحرج، وطمأنية القلب في وقت الخفقان و زيغ الأبصار اضطرابًا وقلقًا، وكان في نزولهم من زيادة الإيمان واليقين والتصديق بالله ووعده ما يربط على القلوب، ويثبت الأقدام بالإقدام، ويسدد الرمي والسيف والسهم إلى مقاتل العدو الذي قذف الله في قلبه الرعب، وكل ذلك لمسه الصحابة الكرام وعايشوه فزادهم إيمانًا وتسليمًا.

([177]) سورة الأنفال الآيات: 9-12.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة وأهم النتائج:

من خلال المباحث التي تناولتها الدراسة خلصت إلى النتائج التالية:

1. سلامة الحواس ضروري لتحقيق شرط صحة المدركات بها، لأن اعتلالها بأي علة يفسد صحة الإدراك، بل قد يكون خادعًا للعقل.
2. يمتاز الدليل الحسي بالقوة وسرعة التأثير، والسهولة واليسر في حصول المقصود، والقطعية وعدم قبول التشكيك والاعتراض، مادامت الفطرة سليمة، كما يمتاز بالكثرة والتنوع، الإيجاز والمباشرة في الاستدلال، بخلاف الأدلة النظرية الجدلية، التي يصل إليها المستدل بمقدمات منطقية طويلة ومركبة.
3. لا يعذب الله خلقه إلّا بعد قيام الحجة الرسالية، ولا تقوم الحجة على الخلق إلّا ببينات ودلائل متظافرة متواترة ومنها: الأدلة الحسية كالمعجزات التي تمثل برهانًا حسيًا قاطعًا على صدق الرسل، ووجود الله تعالى الذي أرسلهم، وأيدهم ومن آمن بهم، وأظهر أمرهم.
4. لما ختمت الرسالة بنبينا صلى الله عليه وسلم، أيده الله بما يصلح حجة خالدة إلى قيام الساعة وهو أعظم المعجزات وأبينها؛ القرآن العظيم وما حواه من أدلة، يتجدد إعجازه ويعُمُّ زمانًا ومكانًا.
5. الدعاء والاستجابة من الأدلة الحسية التي لا يخفى أثرها في وقائع لا حصر لها ولا عد، وتفيد القطع والتواتر بمجموعها، لا ينكرها إلّا جاحد يتعامى عن الحق، وقد استيقن الكفار بالدعاء وأثره قديمًا وخافوا دعوة رسلهم عليهم بالعذاب.
6. آيات الله في الكون الفسيح المنظور، وفي الأنفس عجيبة بديعة محكمة، ناطقة بربوبية الله وإلهيته وأسمائه وصفاته، وصدق رسله وكتبه وما جاؤا به من أمر الآخرة والبعث والنشور، لمن ألقى السمع وهو شهيد.
7. للأدلة الحسية أبلغ الأثر على النفوس الزكية، والعقول الندية التي تطلب الحق لتخضع له وتنقاد، وهو ما حصل للمهتدين من الكافرين، والمقربين من الرسل والنبيين، وأتباعهم من الصحابة والحوارين، ومن تبعهم واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين.
8. عدم استجابة الكفار للأدلة الحسية القطعية لا يعني القصور في البيان، ولا التقصير في البلاغ، ولكن يعني استحكام الشيطان بالغواية، والهوى بالعمى عن الحق، وعدم التوفيق لهداية أنفس تشبثت بالكفر والعناد، والإصرار على موروث الأباء والأجداد.
9. طلب الأدلة الحسية على الأمور العقدية والغيبية إن كان باعثه طلب الثبات وزيادة الإيمان وطمأنينة القلب فهو منهج الأنبياء والأولياء المقربين، ويستجيب الله لهم إكرامًا وتشريفًا، وإن كان باعث الطلب التعنت والتعجيز في الاشتراطات فهو منهج المكذبين الضالين، وقد يستجيب الله لهم فيكذبوا ويحل بهم العذاب الأليم، وقد لا يستجيب رحمة وإمهالًا لهم وبلاغًا إلى حين.

ISSN : 2410-1818

10.قد تحتاج الأنفس المؤمنة إلى الأدلة الحسية وذلك لا يقدح في إيمانها وتصديقها، بل يزيدها باللّٰه تعالى إيمانًا ويقينًا.

أهم التوصيات:

يوصي الباحث بـ:

1. ضرورة الاهتمام بأدلة الإيمان الحسية، التي تورث اليقين في قلوب المؤمنين، والحسرة في نفوس المكذبين الضالين.
2. إبراز أثر الأدلة الحسية على القلوب والأنفس، من خلال التأليف والنشر العلمي الملائم، للإسهام في حل مشكلة الإلحاد المعاصر.
3. تضمين مناهج الدراسة والتعليم بمستوياتها المختلفة أدلة وبراهين الإيمان، وفق منهج القرآن والسنة في الاستدلال بها على أعظم قضايا الوجود.

ISSN : 2410-1818

مصادر البحث ومراجعه:

1. الإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن الآمدي (المتوفى: 631هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.
2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 مـ.
4. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، لأبي بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1401هـ.
5. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
6. الإيمان لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، 1416هـ/1996م.
7. باركلي، د. يحي هريدي، دار المعارف، مصر، سلسلة نوابغ الفكر الغربي.
8. البداية والنهاية، لأبي الفداء بن كثير (المتوفى: 774هـ)، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988م.
9. البيهقي وموقفه من الإلهيات، لأحمد بن عطية بن علي الغامدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة : الثانية، 1423هـ/2002م .
10. تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق:مجموعة من المحققين، دار الهداية.
11. تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار القلم، بيروت. عثمان أمين، مكتبة الأنجلو، مصر، (1951م).
12. تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

ISSN : 2410-1818

13. تثبيت دلائل النبوة لأبي الحسين المعتزلي القاضى عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، (المتوفى: 415هـ)، دار المصطفى - شبرا- القاهرة.
14. التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.
15. التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م.
16. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء بن كثير (المتوفى: 774هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.
17. تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م.
18. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ)،المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى - 1423 هـ .
19. التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، لعبد المجيد بن سالم المشعبي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الطبعة الثانية، 1419هـ/ 1998م.
20. التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: 1233هـ)، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1404هـ/ 1984م.
21. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000م.
22. تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول، لعبد المحسن بن محمد القاسم، [إمام وخطيب المسجد النبوي]، الطبعة الأولى 1427هـ.
23. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000م.

ISSN : 2410-1818

24. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.
25. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية. الطبعة: الثانية، 1419هـ / 1999م.
26. درء تعارض العقل والنقل، لأبي العباس بن تيمية الحراني الحنبلي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: الدكتورمحمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991م.
27. شرح كتاب اعتقاد أهل السنة لعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين،[الكتاب مرقم آليا بترقيم الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 17 درسًا].
28. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 - 1993.
29. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
30. صحيح الجامع الصغير وزيادته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، المكتب الإسلامي.
31. فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، لعبد الرزاق عفيفي (المتوفى: 1415هـ)،[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع بترقيم المكتبة الشاملة].
32. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
33. فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414هـ.
34. كتاب النبوّات، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م.

ISSN : 2410-1818

35. كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها ، لعماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، المحقق : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، الطبعة : الأولى / 1422 هـ - 2002 م.
36. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
37. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، لأبي البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش -محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
38. لسان العرب، ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
39. لطائف الإشارات لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.
40. مباحث العقيدة في سورة الزمر، لناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1995م.
41. مجموع الفتاوى، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.
42. مختار الصحاح، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.
43. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د.عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1421هـ-2001م.
44. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج لأبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
45. معانى القرآن للأخفش، لأبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ)، المحقق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م.

ISSN : 2410-1818

46. المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر /محمد النجار)، دار الدعوة.
47. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس القزويني الرازي، (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.
48. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - 1421هـ - 2000 م.
49. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لشمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
50. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، (المتوفى 502)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
51. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ.
52. نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان، د. فؤاد زكريا ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
53. النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
54. نهاية السول شرح منهاج الوصول، لجمال الدين الإسنوي (المتوفى: 772هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى 1420هـ- 1999م.
55. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.